بسم الله الرحمن الرحيم

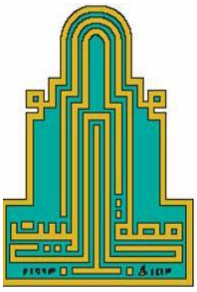

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

رسالة ماجستير بعنوان الدور العلمي لجامع قرطبة في عصر الإمارة

(132 - 316هـ/ 755 - 928م)

The Educational Cordoba Mosque in the Era of the Emirate (132-316AH/755-928AD)

إعداد الطالب

عبد الله عبد العزيز الشطي

1470303005

إشراف

الدكتور موسى بني خالد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

التفويــض

أنا عبد الله عبد العزيز الشطي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / /2017م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالـب: عبد الله عبد العزيز الشطي **الرقم الجامعي: (1470303005)**

التخصص: التاريخ **الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

الدور العلمي لجامع قرطبة في عصر الإمارة

(132-316هـ/ 755-928م)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:

التاريخ: / /2018م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

قـــرار لجنـــــة المناقشـــــة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها

" الدور العلمي لجامع قرطبة في عصر الإمارة

(١٣٢-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م)"

وأجيزت بتاريخ / / ٢٠١٧م

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
٠١ د. موسى أحمد بني خالد	مُشرفاً ورئيساً	.....
٠٢ أ.د. عليان الجالودي	عضواً	.....
٠٣ د. انور الخالدي	عضواً	.....
٠٤ أ.د. حسين الشبول	عضواً	.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إهداء

إلى والدي العزيزين

أهدي هذه الرسالة

جزاكما الله عني خيراً...

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكــر

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى

الدكتور الفاضل/ موسى بني خالد

لحُسن تعامله اتجاهي

وأقدم له أجمل عبارات الشكر والثناء

لجهوده المخلصة في هذا البحث ،،،

الباحث

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

التفويــض..... ب

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها..... ج

قرار لجنة المناقشة ..... د

إهداء..... ه

شكــر ..... و

فهرس المحتويات ..... ز

الموضوعات ..... ح

ملخص الدراسة..... ك

المقدمة:..... 1

الفصل الأول تطور التعليم في المغرب والأندلس حتى نهاية عصر الإمارة (132هـ - 316هـ)..... 12

الفصل الثاني جامع قرطبة في الأندلس (فكرة البناء - هندسة الجامع - مراحل بناءه) 74

الفصل الثالث الحياة العلمية في جامع قرطبة(العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية)..... 93

الفصل الرابع (العلماء والمتعلمون في جامع قرطبة) 138 – 316هـ 112

الخاتمة 130

قائمة المصادر والمراجع 133

المراجع:..... 139

Abstract 147

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الموضوعات

المقدمة
التمهيد
الفصل الأول تطور التعليم في المغرب والأندلس حتى نهاية عصر الإمارة (132هـ - 316هـ)
الفتح العربي لبلاد المغرب والأندلس
اهتمام الخلفاء الأمويين بالتعليم
أهداف وأسس التعليم في المغرب والأندلس
تنوع التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس
الفكر التربوي عند المسلمين
طرق التعليم في المغرب والأندلس في عصر الإمارة
نفقات التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس
تطور التعليم والمؤسسات التعليمة في المغرب والأندلس
نتائج النهضة التعليمية في الأندلس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني جامع قرطبة في الأندلس (فكرة البناء - هندسة الجامع - مراحل بناءه)
أثر المسجد الجامع بقرطبة في هندسة المساجد في المغرب والأندلس
مكان بناء المسجد الجامع بقرطبة
الشكل المعماري للمسجد
تصميم المسجد الجامع بقرطبة
بناء المسجد الجامع بقرطبة
فكرة بناء المسجد الجامع
تقسيمات المسجد الجامع في قرطبة
مراحل تطور المسجد الجامع بقرطبة في عصر خلفاء بني أمية
الفصل الثالث العلوم في جامع قرطبة (العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية)
العلوم الشرعية (التفسير – الحديث – الفقه)
علوم اللغة والنحو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم التاريخ

علم الطب وتطوره في عصر بني أمية

علوم الفلك والحساب والهندسة وعلم البصريات

الفصل الرابع

(العلماء والمتعلمون في جامع قرطبة)

138 – 316هـ

الغازي بن قيس

عيسى بن دينار

يحيى بن يحيى الليث

عبد الرحمن القرطبي

أبو مروان بن عبد الملك

إبراهيم بن يزيد

محمد بن يوسف بن مطروح

الخاتمة

المصادر والمراجع

الملخص باللغة الإنجليزية

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ملخص الدراسة

الدور العلمي لجامع قرطبة في عصر الإمارة

(132-316هـ/755-928م)

إعداد الطالب

عبد الله عبد العزيز الشطي

إشراف الدكتور: موسى بني خالد

تلقي الدراسة الضوء على النهضة الحضارية الإسلامية التي استمدتها بلاد المغرب وبلاد الأندلس منذ أن دخل المسلمون الأندلس عام 92هـ/710م، وأسسوا دولتهم وحضارتهم؛ فكانت تلك البلاد بمثابة الجسر الذي انطلقت منه الحضارة الإسلامية إلى القارة الأوروبية نتيجة اهتمام الخلفاء والأمراء الأمويون بالعلم والعلماء، مما حذا بهم إلى تأسيس صروح علمية أصبحت كجامعات تدرس فيها علوم الحضارة الإنسانية في كل المجالات.

مما انعكس صداه على أوروبا في نهضة لم تشهدها من قبل نتيجة العلوم الإسلامية والعلمية التي تناولتها تلك الجامعات التي انحصرت في بدايتها في المساجد، ويأتي على رأسها المسجد الجامع في قرطبة الذي ساهم بدوره العلمي في تلك النهضة وانتشار العلماء المسلمين إلى كافة بقاع الأرض.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة:

تعد حركة الفتح الإسلامي من الحركات التاريخية الفريدة، بما لا يجعلها في وضع مقارنة مع غيرها من الحركات التوسعية في تاريخ الأمم السابقة أو اللاحقة، وذلك لاختلافها في الهدف والمضمون الفكري والعقائدي، وفي الآثار التي ترتبت عليها في كافة البقاع التي تم فتحها، فلم يكن الهدف من تلك الفتوحات المختلفة للإسلام استعباد البشر أو سلب خيرات الشعوب الأخرى، بل كانت بمثابة مشروع أخلاقي ديني حضاري لأمة إسلامية واحدة لها نفس الأهداف الأخلاقية السامية التي كانت دعوة للهداية إلى دين حق يبتغيه كل البشر للنجاة، حيث كان أهم سبب لتلك الفتوحات للأراضي الأخرى هو داعي عالمية الدين الإسلامي وأمر الله للمسلمين بالدعوة إلى باقي الأمم امتثالاً لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك في قوله جل وعلا قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ (1).

وتتابعت بعدها الآيات التي تحض المؤمنين على الدعوة إلى الله لكل حي ولم تحدد مكان ولا زمان تنتهي فيه تلك الدعوة.

فكانت المدينة المنورة هي أول فتح إسلامي، فتحت قلبها بالدعوة، ونصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحتضنت الدعوة، وأضحت نقطة ارتكاز، انطلقت منها الدعوة بعد أن تكونت فيها أول حكومة إسلامية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وأسلمت له قيادها، فطبق أحكام الإسلام في الداخل، وقامت فيها حياة إسلامية كاملة، وحملت الدعوة إلى خارجها بالجهاد في سبيل الله (2).

---

(1) سورة الفرقان الآية: 1.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1310م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج13، ص402. وسيشار له لاحقاً: ابن منظور، لسان العرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالنظر إلى الدين الإسلامي الذي اتسم بطابع علمي وذلك ما يؤكده نزول أول آية كريمة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهي (اقرأ)، فكانت بمثابة الدعوة إلى العلم والثقافة وهي التي أحسن فهمها المسلمون الأوائل، فعمدوا إلى العلم بكل وسيلة وابتغوا في ذلك كل السبل.

وكان المسجد أول بيت للعلم بجانب كونه بيت للعبادة، فكان ركيزة هامة من ركائز بناء المجتمع الإسلامي، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل للمسلمين في بناء المساجد والاهتمام بها، فبنى مسجد قباء، ثم المسجد النبويَ، وبنى المساجد في الأسفار الطويلة في الطرقات والمنازل، وفي أثناء الغزو، وأثناء الحصار(1).

وتوالت الفتوحات حتى بلغت بلاد المغرب وبلاد الأندلس، وكان نتيجة الحث على العلم في كافة الآيات القرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أن دأب الخلفاء الراشدون ومن بعدهم خلفاء بني أمية من المهتمين بالعلم بل وشغوفين به ويجلون العلماء ويقدروهم ويقربوهم من مجالسهم، وظهر ذلك الاهتمام بالعلم في بناء المساجد الجامعة في كافة أركان وأنحاء الدولة الإسلامية في بلاد الحجاز أو في بلاد الشام، وما تلتها من فتوحات بلاد أخرى.

ونختص هنا ببحث دور خلفاء بني أمية في بلاد الأندلس والذين أظهروا اهتماماً خاص بالعلم والعلماء، مما كان أثره أن أصبحت تلك البلاد منارة للعلم في زمانها وما تلاها من قرون أخرى كانت القارة الأوروبية تعيش في ظلام الجهل وتحكم الكنيسة في كافة أمور الحياة، فشهدت صحوة عمرانية إسلامية في بناء المساجد الجامعة

(1) انظر: البخاري 1/130، وقد ذكر بعض المساجد والمواقع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي يأتي على رأسها المسجد الجامع بقرطبة الذي كان بمثابة جامعة مشرقة لكافة بقاع الأرض يرتاده طلاب العلم من المسلمين وغير المسلمين على السواء، لما له من نور ساطع في نشر الثقافة والتعليم في كافة العلوم الشرعية والتطبيقية، فقد شهد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس نتيجة ذلك الاهتمام بالعلم والعلماء نهضة علمية تبرز معالمها من خلال تعدد مراكز العلم، وقد اشتهر الولاة والأمراء بحذقهم للعلوم واللغات والفنون والآداب،

وقد ساهم الغرب الإسلامي مساهمة فعالة في إثراء الحضارة الإسلامية خاصة في المجال الفكري فبرز العديد من المفكرين والفلاسفة والشعراء والعلماء في كافة العلوم كالطب والهندسة والفلك والرياضيات والفيزياء، وعلوم الكيمياء والأحياء، بجانب العلوم الشرعية كالفقه والحديث والشريعة، فكان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس بمثابة الجسر الذي عبرت عليه الحضارة الإسلامية ورسخت وجودها في تلك البقعة من الأرض وأصبحت ذات ديمومة بعلومها وآثارها الباقية حتى يومنا هذا.

وهذا، ما سوف نقوم بتفصيله في دراستنا هذه التي تتناول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي والأندلس والدور العلمي الذي قام به المسجد الجامع بقرطبة في نشر العلم وأثر الحضارة الإسلامية على تلك البلاد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

وتعد دراسة الحضارات من الدراسات الهامة كونها تمس حياة الإنسان عن قرب، وتنقل له الخبرات السابقة عن عصره ومقومات تلك الحياة التي عاشها الآباء والأجداد على بقاع مختلفة من الأرض، وقد مرت على الأرض العديد من الحضارات بدء من الحضارة الفرعونية مروراً بالعديد من الحضارات التي اندثرت، حتى حلت الحضارة الإسلامية على العالم في منطقة شبه الجزيرة العربية وانتشرت في شتى بقاع الأرض بفتوحات إسلامية بلغت مدى بعيد عن تلك البقعة التي نشأت فيها، فكانت الحضارة الإسلامية تتميز بالعراقة والأصالة عن باقي الحضارات الأخرى لما لها من شخصية فرضت نفسها بالعلم والمعرفة والتسامح والقيم العليا للدين الإسلامي الحنيف، فالشعوب التي فتحها المسلمون أسلموا أمرهم لهؤلاء الفاتحين مرحبين بهم نتيجة ما وجوده في جعبتهم من علم ومعرفة وثقافة ليست في تراثهم، فقد نشأ هؤلاء القوم على التربية الدينية الإسلامية الصحيحة التي كانت باعث ووازع في النفوس لتعزيز طلب العلم في شتى المجالات.

هذا؛ وقد اكتسبت الحضارة الإسلامية قوة على قوتها مما اكتسبته من الحضارات السابقة لها فقد اكتسبت من الحضارة الصينية الفنون والطباعة والورق، كما اكتسبت من الحضارة الهندية الفلسفة والآداب، ومن الحضارة الفارسية أخذ الأدب ونظم الحكم والمعمار، ومن الحضارة الأشورية علم الفلك والتنجيم، وهكذا مهد المسلمون لأنفسهم أسباب القوة وبناء حضارة عريقة وخاصة أنهم يؤمنون بالأديان الأخرى المرسلة من الله تعالى، فأضافت إلى تلك الحضارات علوماً أخرى وجمعتها في بوتقة واحدة وهي الحضارة الإسلامية التي مهدت لنفسها طرائق البقاء والازدهار على مر قرون طويلة كانت سبباً في نهم البعض على التعرف على تلك الحضارة وأسباب قوتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان أهم تلك الأسباب التي استنتجها المؤرخون والدارسون لتلك الحضارة أن المسلمين آمنوا بأن الحكمة هي ضالة المؤمن، فهم لم يركنوا إلى ما تركه السابقون بل زادوا عنه بفضل تجاربهم وتبحرهم في العلوم فتعرفوا على ما تركه السابقين ودونوا تلك المعارف في جعبتهم وبدأوا مما انتهى إليه غيرهم فكان تراثاً جامعاً للبشرية جميعها، وكانت الحضارة الإسلامية الكبرى(1).

فالمسلمون طوال تاريخهم في البلدان التي تم فتحها عملوا بجهد لا ينكر على تصدير الكنوز المعرفية لتلك البلدان وتحقيق الاستفادة لشعوب تلك البلدان، وتظهر هنا بلاد الأندلس كخير الأمثلة على ذلك، حيث مثلت بعداً حضارياً ريادياً في منطقة انتشر فيها الظلام الثقافي لحقبة من الزمن، فكانت الأندلس تمثل جسراً عبر به المسلمون بعاداتهم وثقافتهم ودينهم ولغتهم إلى أوروبا، فانتقلت بالتبعية حضارتهم إليها، وكانت أهم مقومات تلك النقلة الحضارية التراثية هي العلم والمعرفة، فقد قال ليفي بروفنسال(2): "الأندلس لم يكن دوماً يحمل سلاحاً في وجه جيرانه حتى في الوقت الذي بلغ فيه الأندلسيون قوة لا تقهر، بل أعطوا طيلة فترات تواجدهم في المنطقة بسخاء أكثر مما يتلقون، وبرهنوا على روحهم المتسامحة فيما يتصل برعاية المسيحيين"(3).

فكان لبلاد الأندلس الدور الريادي والحضاري الذي بث علمه وثقافته على دول القارة الأوروبية رغماً عن التباين الواضح في الدين واللغة والجنس والثقافات والعادات والتقاليد بين الحضارتين، وخاصة بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس، حيث أصبحت كما يطلق عليها المؤرخون الغربيون شمس العرب التي تسطع على الغرب.

---

(1) عثمان الكعاك، دور العروبة والإسلام في النهضة العلمية والأدبية والفنية والتقنية في أوروبا وأمريكا، ملتقى الفكر الإسلامي، المجلد الأول، 1972، ص 295.

(2) إفاريست لافي هو مؤرخ، وكاتب، من المستشرقين، ومختص في علوم إسلامية، فرنسي ولد في عام 1894، وتوفي في 1956.

(3) ليفي، بروفنسال، الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة / أحمد مكي، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1985، ص99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كانت الحياة العلمية التي شهدتها بلاد الأندلس تتصف بالنشاط الكبير، كما كان هناك العديد من المدن التي تكتظ بالمكتبات والمساجد الجامعة التي شهدت نشاطاً لنخبة من علماء المسلمين العرب والأندلسيين والعديد من الشعراء، ويرجع ذلك الإرث العلمي والنشاط العلمي في تلك البلاد لما أبداه الخلفاء والأمراء من اهتمام بالعلم والعلماء وخاصة في عهد الناصر، فكانوا رجال علم وحضارة.

ونتيجة لذلك الاهتمام بالعلم والعلماء في بلاد الأندلس ازدهرت الحياة الفكرية بوفود كبار العلماء بأعداد كبيرة على تلك البلاد، وذلك لتوافر المناخ الذي يشجع العالم على نشر علمه من حرية فكرية واستقرار سياسي تمتعت به الأندلس لفترات طويلة، بالإضافة إلى رغبة الخلفاء والأمراء على استقطاب غالبية العلماء إلى بلاد الأندلس لما فيه من خير للحكم وللرعية، فهم يعلمون أن العلم هو الوسيلة الأساسية والحيوية لنشر الحضارة الإسلامية ورسوخها في تلك البلاد وتسيدها على سائر البلدان المجاورة، فبالعلم يرتقي الإنسان إلى مراتب عالية.

فانتشر التعليم في كافة أرجاء الأندلس وتعددت مجالس العلم وكثر العلماء في مختلف فنون العلم الشرعية والعقلية، وقد قال المراكشي(1) في وصف قرطبة كمدينة نابضة بالعلم: "إنه كان فيها ثلاثة آلاف مقلس وكان لا يتقلس- أي لبس القلنسوة- عندهم في ذلك الزمان إلا من صلح للفتيا"(2).

---

(1) أبو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (654 هـ - 721 هـ)، عالم مغربي برز بصفة خاصة في الرياضيات والفلك والطب، وكان متفنن في علوم جمة، كالتنجيم، والعلوم الخفية. قضى أغلب فترات حياته بمراكش، وهو معاصر للدولة المرينية. أسس ابن البنا المراكشي مدرسة علمية مهمة في المغرب، أكبّت على مدى قرون على تدريس مؤلفاته وشرحها وتداولها في مختلف جامعات العالم، وأطلق اسمه مؤخرًا على فوهة بركانية على سطح القمر.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن كانت قرطبة هي من أشهر مدن الأندلس التي كان لها أثراً كبيراً في انتشار الحضارة الإسلامية في تلك البلاد وكان لها أثراً في النهضة العلمية التي نالتها الأندلس نتيجة بناء المسجد الجامع الذي يعد منارة حقيقية للعلم لعدة قرون من عمر الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس، فكانت هناك العديد من المدارس العلمية في شتى أنحاء الأندلس كمدرسة مرسية(1)، والمرية(2) ودانية(3)، وأشبيلية(4)،

(1) مُرسِيَة أو مَرسِيَة والنسبة إليها مُرسِيّ، تلفظ مرسيا أو مرسيه، هي مدينة تقع في جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر شقورة، تطل على البحر الأبيض المتوسط. هي عاصمة منطقة مرسية. أسسها عبد الرحمن الداخل عام 825 م ومن أهم شخصياتها في التاريخ الإسلامي ابن عربي وابن سيده، وأبو العباس المرسي.

(2) المرية مدينة إسبانية أندلسية وعاصمة مقاطعة المرية، تقع في جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط، وهي مدينة حديثة النشأة نسبياً مقارنة بباقي مدن إسبانيا أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة (344هـ)، وجاء سبب تسميتها وهو أن المدينة سميت بالمرآية (من كلمة المرآة) لأن المدينة ومعالمها تنعكس على المياه من حولها وكأنها مرآة.

(3) بلدية تقع في جنوب شرق إسبانيا، ذكرها التلمساني أحمد بن محمد المقري في كتابه نفح الطيب، وتقع على ساحل البحر المتوسط وتعد قاعدة من قواعد شرق الاندلس، وتعتبر ميناء رئيسيا من موانئ شرق الاندلس وتكثر حركة السفن فيها.كما تصنع فيها الاساطيل وتخرج منها أساطيل الغزو وكانت السفن تبحر إلى أقصى المشرق، فتحت دانية على يد المسلمين 94هجرى على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في عهد أبيه.

(4) عاصمة منطقة أندلوسيا وتقع في جنوب إسبانيا على ضفاف نهر الوادي الكبير، اشتهرت إشبيلية بشكل كبير إبان حكم المسلمين لإسبانيا في العصور الوسطى وكان يطلق عليها أيضاً اسم (حمص) نسبة لنزول جند الشام فيه أول مرة، وفي أواسط القرن التاسع الميلادي أمر عبد الرحمن الثاني ببناء أسطول بحري ودار لصناعة الأسلحة فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبلنسية(1)، وطرطوشة(2)، وغرناطة(3)، وبطليوس(4)، وشاطبة(5) وسرقطسة(6)، وشلب(7).

فكانت تلك المدن والمدارس التعليمية

---

(1) عاصمة مقاطعة فالنسيا في شرق إسبانيا على البحر المتوسط ومن أكبر مدن البلاد، عرفت باسم بلنسية أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا، فتحها المسلمون عام 714 م، وأرسى فيها وفي مدائن شاطبة ودانية وساجنتوم قواعد الحكم الإسلامي. ولم يسايروا الإسبان في إطلاق اسم الإشبان على تلك المدينة، بل غيروا بعض حروفه وأدخلوا تعديلا علي رسمه فأصبح "بُلَنسِية"، وأوردوه بهذا الرسم في مؤلفاتهم التاريخية والجغرافية.

(2) إحدى مدن منطقة كتالونيا في إسبانيا، تعلو طرطوشة 12 متر عن سطح البحر، على نهر أبرة، ويحدها شمالاً جبال كاردو مسيف، في عهد الدولة الأموية في الأندلس، تم بناء جدار غدا أساسًا لسور أنشيء فيما بعد، وكانت تشتهر بالترسانة القوية التي كانت تحتوي على سبعة عشر برجاً.

(3) عاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا، تقع بمحاذاة جبال سييرا نيفادا عند نقطة التقاء نهري هَدَّرُه وسَنجَل، وعلى ارتفاع 738 متراً فوق سطح البحر، وكان اليهود المستوطنين في إسبانيا يطلقون عليها اسم إيبيريا، والمسيحيون يطلقون عليها اسم الفيرا، وسميت بهذا الاسم من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون الأمويون عام 711 ميلادي وأسسوا قلعة غرناطة.

(4) مدينة إسبانية تقع بالقرب من الحدود البرتغالية. أسسها عبد الرحمن بن محمد بن مروان. كانت عاصمة دولة بنو الأفطس.

(5) تقع في مقاطعة بلنسية وفي حوض نهر البيضاء شرقي إسبانيا، أسسها الإبيريون وكانت تسمى إبي، تيبي أو سايتي ازدهرت في الفترة الإغريقية والفترة الفينيقية، عرفت المدينة في الفترة الإسلامية ازدهارا كبيرا وعُرفت في جميع أوروبا كمهد صناعة الورق.

(6) عاصمة مقاطعة سرقسطة وهي أيضا عاصمة منطقة أراغون في شمال شرق إسبانيا، تقع على نهر إبرة، وقال عنها المؤرخين: «وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة، ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارةٍ حصين، وهي على ضفة نهرٍ كبيرٍ، يأتي بعضه من بلاد الروم، وبعضه من جبال قلعة أيوب ومن غير ذلك؛ فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة؛ ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء، وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها؛ ومن خواصها أنها لا تدخلها حية ألبتة، وإن جلبت إليها ماتت؛ فمن الناس من يزعم أن فيها طلسما لذلك، ومنهم من يقول إن أكثر بنيانها من الرخام الذي هو صنف من الملح الدراني؛ ومن خاصيتها ألا تدخل الحناش موضعاً يكون فيه، وكذا بأقاليم عدة. ولسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة، ومبانٍ رفيعة. واسمها مشتق من اسم قيصر أغسطة، وهو الذي بناها، وذكر أنها بنيت على مثل الصليب وجعل لها أربعة أبواب: باب إذا طلعت الشمس من أقصى المطالع في القيظ قابلته عند بزوغها، فإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي، وباب إذا طلعت الشمس من أقصى مطالعها في الشتاء قابلته عند بزوغها وهو الباب القبلي؛ وإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه».

(7) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص 432.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخاصة في مدينة قرطبة هي القاطرة التي أدت إلى النهضة العلمية التي ظهرت في الأندلس، وجعلت تلك النهضة تتخطى مرحلة المحلية إلى مرحلة أخرى من النهضة التي تخطت حدود بلاد الأندلس لتترك أثرها على البلدان الإسلامية قاطبة بالإضافة إلى البلدان الأوروبية التي اعتبرت الأندلس هي المنارة العملية الأولى في العالم فأوفدت طلابها وأبنائها للتعلم والدرس في تلك البلاد.

وقد كان للعلماء الأثر الأكبر في ازدهار تلك النهضة والمساهمة بفعالية في رقيها وتميزها عن سائر البلاد الإسلامية في ذلك الوقت، بل امتدت تلك المظاهر إلى قرون تالية بفضل هؤلاء العلماء ومنابر التعليم في بلاد الأندلس.

ويظهر بصورة رئيسية من هؤلاء العلماء أبا علي القالي الذي حل بالأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في العام 330 هجرياً ليدرسوا في جامع قرطبة، وهو عالم عراقي الأصل ولكنه لُقِب بالقالي نسبة إلى بلد قالي في ديار بكر، وقد حظي هذا العالم اللغوي الجليل على مكانة مرموقة نتيجة أعماله الكثيرة والثرية في اللغة والشعر، ويعد من أشهر مؤلفاته كتاب الأمالي وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في جامع قرطبة(1).

كما يظهر أيضاً المؤرخ القرطبي أبا بكر محمد المعروف بابن القوطية، وهم من العلماء البارزين في بلاد الأندلس ويعد كتابه الأفعال وهو كتاب في النحو من أهم مؤلفاته، كذلك كتاب تاريخ الأندلس.

وتعد من الأسباب الحقيقية للنهضة في بلاد الأندلس وخاصة العملية هي اهتمام المسلمون بالبناء والتعمير في تلك البلدان التي يفتحونها، وكان أول ما يبني المسلمون في تلك البلدان المساجد باعتبارها الحاضن الأساسي للدين وهي الكنف الذي فيه ينشأ المسلم المتعلم والمتفقه بأمور الدين وأمور الدنيا وينهل منها العلم الذي يجعله قادراً على التعامل في حياته مع كافة الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية كي يكون سفيراً للإسلام في داخل أو خارج بلاده، فالمسجد عند المسلمين لم يكن دار للعبادة فقط، بل كان مدرسة متكاملة الأركان ومن الأولويات التي يهتم بها المسلمين في كافة البلدان الإسلامية، فكانت عملية البناء تلك من أهم مسئوليات الدولة الإسلامية.

(1) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1978، ص 210.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبعد دخول المسلمون إلى بلاد الأندلس كان من أولى المهام التي قام بها الفاتحين إقامة المسجد أولاً لتأكيد الهوية الإسلامية وصبغ تلك البلاد بالصبغة الإسلامية وكان ذلك ليس كرهاً وإنما طواعية واختياراً، فتوالى البناء في تلك المساجد وكان من أشهرها قاطبة المسجد الجامع بقرطبة والذي هو محور تلك الدراسة وما له من أهمية في العالم في ذلك الوقت بوصفه منارة علمية وجامعة ينهل منها المسلمون وغير المسلمون العلم على يد جهابزة من العلماء المعروفين في ذلك الوقت بعلمهم وفضلهم، وقد قام الأمير عبد الرحمن الداخل ببناء جامع قرطبة بعد أن تم ضم كنيسة سانت بنجنت إليه، وكان ذلك المسجد في بداية بناؤه على شكل متواضع هندسياً وزخرفياً بالمقارنة بالمساجد الأموية في دمشق، ويذكر المقري: "وبنى المسجد الجامع وانفق فيه ثمانين ألف دينار، إضافة إلى مائة ألف دينار دفعت للنصارى ثمناً لشراء الكنيسة التي أزيلت وبني فوق أرضها المسجد الجامع"(1).

وقد حشد له الأمير عبد الرحمن عدد كبير من البنائين والعمال والصناع، ولكنه لم يتمكن من إنهاؤه فتوفي قبل اكتمال بناؤه، وكان للمسجد الجامع بقرطبة أثر كبير في نفوس المسلمين بل تعدى ذلك الأثر إلى المسلمين في بلاد الأندلس قاطبة، وتوالت الزيادات والعمارة على المسجد الجامع بقرطبة في مراحل مختلفة من عصر الإمارة، وكان يتسع لأكثر من 80.000 مصلي، كذلك فهو يعد من أروع الأبنية في العمارة الإسلامية، كذلك يحتل مكانة مرموقة بوصفه جامعة إسلامية أنارت في منطقة بعيدة عن الرقعة الإسلامية، ووسط شعوب لها ثقافتها ودينها المختلف كذلك لغتها وعاداتها وتقاليدها، وقد كانت تدرس في تلك الجامعة الإسلامية ذائعة الصيت العلوم الدينية واللغوية،

(1) المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، بيروت، دار صادر، 1988، ص 329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفد إليها طلاب المسلمين والعجم للدرس والتحصيل، فعنه يقول الحميري(1) إنه: "الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة، وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً"(2).

وكان لهذا المسجد العديد من الأدوار التي يقوم بها في الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس، فكما أسلفنا فإن المسلمين لم تكن المساجد بالنسبة لهم دور عبادة فقط، ولكن منابر علم وتعلم، بالإضافة إلى أن المسجد الجامع بقرطبة كان يقوم القضاء في وقتنا الحالي، فكان القضاة يجلسون فيه للقيام بالقضاء بين الناس داخل المسجد وكان يسمون في ذلك الوقت بقاضي جامع قرطبة نسبة إلى المسجد وتعظيماً لشأنه فكان الناس يعتبرون من يقضي في المسجد الجامع بقرطبة بمثابة قاضي القضاة، كما كانت مراسم بيعة الخلفاء في الأندلس تؤخذ في المسجد الجامع بقرطبة ويحضرها كبار موظفي الدولة والأمراء وعامة الشعب وكانت تلك المراسم تستمر لعدد من الأيام، كما كان المسجد الجامع بقرطبة بمثابة وزارة الإعلام في وقتنا الحالي، حيث كانت القرارات والإصدارات الأميرية تعلن من داخل المسجد الجامع بقرطبة بوصفه القبلة الأساسية لكافة سكان المدينة بالإضافة إلى زائريها.

(1) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله الحميري، أهم آثاره كتاب أنجزه سنة 866 هـ، واختلف قليلا على اسمه إلا أن الأجماع، اعتمادا على المخطوطات التي درسها إحسان عباس وليفي بروفنسال على أنه «الروض المعطار في خبر الأقطار»، وهو عبارة عن معجم جغرافي لا يخلو من سرد بعض الأخبار والوقائع التاريخية، ومرتب على حسب الحروف. يصف المدن والأقطار والجزر وبعض المحيطات والبحار، وقد حقق المستشرق أومبرتو ريتستانو منتخبات من الكتاب.

(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ)،الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، مطابع هيد دلبرج، 1984، ص 402.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول
تطور التعليم في المغرب والأندلس حتى نهاية عصر الإمارة (132هـ - 316هـ)

م	الموضوع
.1	الفتح العربي لبلاد المغرب والأندلس
.2	اهتمام الخلفاء الأمويين بالتعليم
.3	أهداف وأسس التعليم في المغرب والأندلس
.4	تنوع التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس
.5	الفكر التربوي عند المسلمين
.6	طرق التعليم في المغرب والأندلس في عصر الإمارة
.7	نفقات التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس
.8	تطور التعليم والمؤسسات التعليمة في المغرب والأندلس
.9	نتائج النهضة التعليمية في الأندلس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

تطور التعليم في المغرب والأندلس حتى نهاية عصر الإمارة (132هـ - 316هـ)

يعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس من الأحداث التاريخية التي كان لها أثر إيجابي على الحضارة الإنسانية بصفة عامة والحضارة الإسلامية بصفة خاصة للحياة الإنسانية الكثير من العلوم التي يشهد لها التاريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تذكر المصادر التاريخية أن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي كانت خاضعة لقوى أجنبية طامعة في تلك المنطقة اعتباراً لموقعها الاستراتيجي الهام على طرق التجارة العالمية القديمة، وكبوابة من قارة إفريقيا إلى القارة الأوروبية، فكانت تلك القوى متتالية على تلك البقعة الجغرافية من العالم كالفينيقيين(1) والرومان(2) والبيزنطيين(3) ولم يكن للبربر(4) والأفارقة دور هام في الحضارة المغربية بل كانوا مستغلين من طرف الغزاة عن طريق الجباية والتجنيد والعبودية والسبي، فعلى مر العصور لم يدخل البربر التاريخ البشري ولم تكن مساهمتهم في الحضارة الإنسانية هامة إلى حين دخولهم الإسلام.

---

(1) الفينيقيون أو الكنعانيون، هم أحد الشعوب السامية القديمة التي سكنت لبنان وسورية وفلسطين وأنشأت ممالك صغيرة عكا و جبيل وصيدا وصور وفي الفترة مابين 1000 - 700 ق.م أنشأوا مستعمرة لهم في قرطاج وكانوا قوة مهيمنة في العالم القديم حتى 146 ق.م إثر سقوطها بعد حروب بونية ثالثة. كتبة اليهود إعتبروهم من نسل كنعان من حام على طريقتهم في تقسيم الأمم بينما الأبحاث و الحفريات تظهر أن أصولهم تعود إلى سيناء الموطن الأول للأبجدية الكنعانية.

(2) ليس هناك وثائق أو إثباتات تاريخية تحدد مجيء الرومان إلى شبه الجزيرة الإيطالية وتأسيسهم مدينة روما وإنما يعتمد المؤرخون على مجموعة من الأساطير والروايات التي تناقلها الأشخاص الذين درسوا التاريخ القديم على مر العصور. وتؤكد الاكتشافات الأثرية والمستندات التاريخية وقائع تأسيس القرية الصغيرة كان حول النزاع الأول بين الأخوين روموليوس وريموس حول تاسيس مدينة روما والنزاع الثاني القائم بين رية سلفا وابيها ايمليوس حول مصير الطفلين فقامت الأم برمي التوأمين في النهر التيبر ويروى كذلك ان التوامين قد رضعا الذئبة لمدة تزيد عن اسبوع.ثم عثر عليهما راعي كان يرعى بالمنطقة ونقلهما مباشرة إلى زوجته اين قاما بتربيتهما حتى بلغا السن 18 عاما روما نسبة إلى مؤسسها روميلوس ونصب نفسه ملكاً عليها كأول ملك على روما والمناطق المحيطة بها.

(3) المنتسبين للإمبراطورية البيزنطية أو بيزنطة - وكانوا يعتبرون أنفسهم الروم وسمتهم كذلك أيضا الشعوب المحيطة - كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية امتدادًا من العصور القديمة المتأخرة وحتى العصور الوسطى وتمركزت في العاصمة القسطنطينية.

(4) الأمازيغ أو البربر أو الليبيين وهم من الشعوب الأصلية التي تسكن المنطقة الممتدة من واحة سيوة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وهم السكان الأصليين لشمال إفريقيا، يمتد وجودهم من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وهي المنطقة التي كان يطلق عليها الإغريق قديما باسم نوميديا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك كان للفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس آثاره الواضحة والتي شملت كافة جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتتجلى بعض هذه الآثار بصفة مباشرة، بعد الفتح الإسلامي، كما أن بعضها الآخر، تجلى فيما بعد في أطوار مختلفة، فقد تميزت الحضارة الإسلامية في المغرب و بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي لهما بالعناية بالأدب والعلوم والفنون، فقاموا بإنشاء المساجد الجامعة وتلتها مرحلة إنشاء المدارس والمكتبات الزاخرة بالكتب والمصادر المختلفة لكافة المجالات، وإثر ذلك نشط مجال الترجمة لأمهات الكتب في الفلسفة وكافة المجالات العلمية والأدبية.

كما كان للمسلمين رؤية مستقبلية لبلاد المغرب والأندلس، وفي سبيل إقامة دولة قوية لها دعائم دينية وعلمية، وثقافة تعد غريبة على تلك الأراضي، فقد رأوا أن يقيموا دولة قوية تدعمها الحداثة، وكان ما يؤخذ في اعتبارهم بأن العلم هو أفضل الطرق لتلك الحداثة وتكوين دولة إسلامية قوية، خاصة أن الموقع الجغرافي لبلاد المغرب والأندلس بجانب الممالك والإمارات الأوروبية المنتشرة في القارة الأوروبية يعد تهديداً لدولة وليدة يجب أن تكون حريصة على أمنها القومي والجغرافي.

فكان من أهم خصائص بنيان تلك الدولة أن تهتم بالتعليم، على الرغم من استمرار الهدف الأساسي وهو نشر الإسلام في منطقة الشمال الإفريقي، فكان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب هـو النبع الأساسي و الحيوي لحياة علمية زاهرة فيها، وكان مركز إشعاع العلم في تلك الحقبة بل فيما تلاها من أزمنة، فكانت نتيجة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس أن قد شهدت تلك البلاد نهضة علمية برزت معالمها من خلال تعدد مراكز العلم كجامع عقبة بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وجامع قرطبة بالأندلس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما كان للسياسات التي اتبعها المسلمون الأوائل في بلاد المغرب وبلاد الأندلس دوراً بارزاً في أن تتبوأ تلك البقع من الأرض مكانة سامية بين الأمم وخاصة بالنسبة لأوروبا وشمال إفريقيا، فقد شهدت تلك البلاد نهضة علمية كبيرة وتطوراً علمياً أصبح مثار تأريخ عظيم للأمة الإسلامية،و تبرز معالم تلك النهضة من خلال تعدد مراكز العلم في بلاد المغرب العربية المتمثلة في المساجد في بادئ الأمر، كما اشتهر الولاة والأمراء بشغفهم للعلوم واللغات والفنون والآداب، وبرز في بلاد المغرب العديد من العلماء المتخرجين من جامعة القيروان، فاشتهر في اللغة والأدب محمد بن جعفر القزاز(1)، وفي الفلسفة سعيد بن الحداد(2)، كما تأسست بالقيروان(3) مدرسة للطب واشتهر فيها عدد من الأطباء وخاصة أحمد بن الجزار صاحب كتاب "زاد المسافر"(4).

كما كان الفتح الإسلامي للأندلس مصدراً هاماً في مزج الحضارات الغربية (الرومانية- القوطية) مع الحضارة الإسلامية، فكان المسلمون الأوائل الذين وطئت أقدامهم أرض المغرب والأندلس منبعاً لحضارة عريقة تتحدث عن نفسها حتى وقتنا المعاصر، وكان التعليم أحد تلك السمات الحضارية التي أحدثتها الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، كما يذكر للمغرب الإسلامي مساهمته الفعالة في إثراء الحضارة الإسلامية في العديد من المجالات، وخاصة في المجال الفكري فبرز العديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء والفقهاء الذين ينهل من علمهم حتى الآن

(1) أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، المعروف بالقزّاز، القيرواني، نحويّ، لغويّ، شاعر، ولد في مدينة القيروان، وبها توفي عن عمر يقارب التسعين، وقبره في ناحية من نواحيها يقال لها: «زويلة بني الخطاب».

(2) الإمام أبو عثمان سعيد بن محمد، من أئمة القيروان الذين كان لهم دور بارز في الدفاع عن عقائد أهل السنة (ت 302هـ).

(3) الذهبي، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة العاشرة، دار الفجر للطباعة والتصوير، الدار البيضاء، مؤسسة الرسالة، ج3، 2001، ص 321.

(4) الطبيب قيرواني أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار القيرواني وهو أول طبيب مسلم يكتب في التخصصات الطبية المختلفة مثل طب الأطفال وطب المسنين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعد نظرياتهم وأقوالهم محل دراسات في العديد من الجامعات ودور البحث العلمي حتى وقتنا المعاصر، ومن أشهر هؤلاء العلماء، الغازي بن قيس الذي توفي في العام (199هـ)، والفقيه عيسى بن دينار الذي توفي في (122هـ)، وهو من أهم الفقهاء الإسلاميين في القرن الثاني وبدايات القرن الثالث، ويحيى بن يحيى الليثي القرطبي الذي توفي في (234هـ) وكان من أهم الفقهاء في قرطبة وينسب له أخذ كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس إلى بلاد الأندلس، والفقيه عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى القرطبي الذي توفي (258هـ)، والعالم التاريخي والأدبي أبو مروان عبد الملك السلمي الذي توفي في (238هـ)، والفقيه إبراهيم بن يزيد بن قلزم القرطبي الذي توفي (268هـ)، وكان فقيهاً قاضياً جليلاً، ومحمد بن يوسف القرطبي الذي توفي (271هـ) وكان فقيهاً واشتهر بروايته عن عيسى بن دينار.

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس:

تحتل شبه جزيرة أيبريا موقعاً جغرافياً هاماً، بالإضافة إلى كونه موقعاً حيوياً كبوابة لقارة أوروبا على شمال أفريقيا، وقد كان الفتح الإسلامي لتلك الجزيرة حدثاً تاريخياً، فقد امتزجت فيه الحضارات الرومانية والقوطية(1) مع حضارة جديدة وهي الحضارة الإسلامية، فما إن وطئت أقدام المسلمين هذه الأرض حتى بدأوا في إقامة الحضارة الإسلامية بجميع جوانبها، مساهمين بذلك في بناء الحضارة الغربية والتي مازالت آثار الحضارة الإسلامية واضحة عليها(2).

(1) القوط قبائل جرمانية شرقية، أرجح الآراء أنهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، لكن يبقى الخلاف على البلاد الأوروبية التي قدموا منها قائماً إلى اليوم، كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي والديني، يُقسَمون إلى قوط شرقيين وقوط غربيين.

(2) هنري طيران، هنري، مسجد القرويين في فاس، دار الحكمة، الرباط، ج1، د. ت، ص.11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان الفتح الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) أمراً طبيعياً، وذلك حسب الخطة التي اتبعها المسلمون أثناء فتوحاتهم وهي تأمين حدودهم ونشر دعوتهم، وتعددت الروايات حول الفتح الإسلامي للأندلس، ولكن يمكن القول بأن فكرة فتح شبه الجزيرة الآيبيرية هي فكرة إسلامية تماماً، بل يروى بأنها فكرة قديمة تمتد إلى أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان(1) كما جاء في المصادر والمراجع مثل البيان المغرب ونفح الطيب وتاريخ غزوات العرب وغيرها، فقد كان القائد عقبة بن نافع الفهري(2) يفكر في اجتياز المضيق إلى إسبانيا لو استطاع، وسبق للمسلمين نشاط على شواطئ إسبانيا الشرقية وبعض جزر البليار(3) القريبة منها وهي ميورقة (Mallorca)(4) ومنورقة (menorca) (5) واليابسة (Ibiza)(6).

---

(1) أبو عبد الله عثمان بن عفان الأموي القرشي (47 ق.هـ - 35 هـ) ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات نبي الإسلام محمد، حيث تزوج من رقية ثم بعد وفاتها تزوج من أم كلثوم، كان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة. وكان رسول الله يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه وأخلاقه وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين والذين آمنوا بالله، وبشّره بالجنة كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيداً.

(2) عقبة بن نافع الفهري القرشي (وقيل ابن رافع) (1 ق.هـ - 63 هـ) قائد من أبرز قادة الفتح الإسلامي، الذين فتحوا بلاد المغرب في صدر الإسلام ولقب بفاتح افريقية.

(3) منطقة تقع في شرق إسبانيا، من سبعة عشر مناطق حكم ذاتي في إسبانيا، عاصمتها هي مدينة ميورقة، تنفرد المنطقة بمقاطعة واحدة وهي جزر البليار.

(4) مدينة وميناء بجزيرة ميورقة، كما أنها عاصمة منطقة جزر البليار التابعة لإسبانيا.

(5) الجزيرة الثانية من حيث المساحة في مجموع جزر البليار الإسبانية الواقعة في البحر الأبيض المتوسط، وتقع على مسافة سبعة وعشرين ميلا في شمالي شرقي جزيرة ميورقة، مساحتها (271) ميلاً مربعاً، وساحلها مضرّس بشدة ولا سيما في شمالي الجزيرة، تنتظمه مجموعة من الأنهار والخلجان.

(6) جزيرة من جزر البليار ذاتية الحكم الواقعة في البحر المُتوسط والتي تتبع لـ إسبانيا. اسم الجزيرة يابسة مشتق من اللغة العربية من كلمة «يابسة».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر الإمام الذهبي (748هـ) (1) في كتابه العبر في خبر من غبر "أما الاتصال بيوليان (Julian)(2) حاكم سبتة (ceuta)(3) أو بغيره من الأسبان، فإنها جاءت مواتية على ما يبدو في الوقت الذي كان موسى بن نصير(4) والى الشمال الإفريقي قبل وخلال فتح إسبانيا، يفكر في تنفيذ فكرة الفتح"(5).

رسخ المسلمون الأوائل على تلك الأراضي دولتهم المستقرة سياسياً والمتطورة حضارياً كالصرح بين كافة الدول الأخرى القوية، فكان الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (113-172هـ) (6)، والذي عمل على إحياء دولة بني أمية على أرض الأندلس بعد سقوطها بالمشرق عام (132هـ/750م) من أوائل من بدأوا بنشر بذور الحضارة الإسلامية بهذه المنطقة،

---

(1) شمس الدين الذهبي (673 هـ - 748 هـ) محدث وإمام حافظ. جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. والإمام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي.

(2) كان ملك سبتة الواقعة في المغرب الأقصى، تلك المدينة التي استعصت على المسلمين لحصانة أسوارها، ولحكمته.

(3) مدينة إسبانية وذاتية الحكم تقع على القارة الأفريقية داخل التراب المغربي الذي يعتبرها مدينة محتلة، تقع مقابل لمضيق جبل طارق، تحدها من الشمال والجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط.

(4) أبو عبد الرحمن موسى بن نصير (19 هـ - 97 هـ) قائد عسكري في عصر الدولة الأموية. شارك موسى في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح واليًا على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، واستطاع ببراعة عسكرية أن ينهي نزعات البربر المتوالية للخروج على حكم الأمويين، كما أمر بفتح شبه الجزيرة الأيبيرية، وهو الغزو الذي أسقط حكم مملكة القوط في هسبانيا.

(5) عوض، عبد الفتاح. إشراقات أندلسية (صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس)، القاهر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (2007)، ص 4 – 5، وسيشار إليه لاحقاً (عوض عبد الفتاح، إشراقات أندلسية).

(6) معروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، والمعروف أيضًا في المصادر الأجنبية بلقب عبد الرحمن الأول. أسس عبد الرحمن الدولة الأموية في الأندلس عام 138 هـ، بعد أن فر من الشام إلى الأندلس في رحلة طويلة استمرت ست سنوات، بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق عام 132 هـ، وتتبع العباسيون لأمراء بني أمية وتقتيلهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان شديد الحرص على الحفاظ على هويتها العربية الإسلامية، كما حرص على التحديث والتجديد فيها بكل عناصر الحداثة المتاحة وقتها، فعمل على ترتيب عناصر ومكونات الإدارة المركزية بالأندلس وعمد إلى تثبيتها من خلال الاعتماد على رجال موالين لبني أمية من ذوي الخبرة بالإدارة والقيادة وشؤون الحكم والسياسة ، كما اهتم بالبناء والعمران فاستقر بقرطبة وبنى فيها القصر والمسجد الجامع، ثم بنى منية الرصافة(1) في الجانب الغربي من قرطبة(2).

واجه المسلمون في مرحلة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس عقبات كثيرة، وخاصة في بلاد المغرب، حيث استمرت عملية فتح بلاد المغرب ما يقارب من السبعين عاماً، وكان من أشد العوامل تأخيراً لهذا الفتح المبارك قوة قبائل البربر التي كانت تعيش في تلك المناطق، بالإضافة إلى مساعدة الدولة البيزنطية للبربر ضد المسلمين، كما أن لطبيعة البربر الصحراوية والجبلية الجافة دور كبير في صعوبة تقبل الغير والاندماج تحت لواء أحد، حتى جاء الإسلام وللتغيير إلى قبائل تقاتل بجانب العربي وغيره تحت راية الإسلام ، حيث مثل الدين الإسلامي عامل وحدة ثقافية واجتماعية وعقائدية وسياسية اجتمعت حوله مختلف القبائل تتهافت عليه للقيام بدور لبناء هذا الصرح العملاق المتمثل في "خير أمة أخرجت للناس" والمساهمة في تدعيم المكاسب كنشر الإسلام في الأندلس ودعم الحضارة الإسلامية بمعالم وشخصيات علمية لا يزال أثرها قائما إلى اليوم(3).

---

(1) منية الرصافة هي مدينة ملكية بناها عبد الرحمن الداخل بضاحية قرطبة في فترة الدولة الأموية في الأندلس، وجعلها مقرًا صيفيًا له لارتفاعها عن قرطبة، وإطلالتها على نهر الوادي الكبير، الذي يجتازها في القرن الثامن الميلادي، تخليدًا لذكرى جده هشام بن عبد الملك باني رصافة سورية، ولم يبق لها أثر في القرن العشرين، فبنت الحكومة الإسبانية في موضعها سوق كبير، أطلقت عليه اسم (الرصافة).

(2) عبد المقري التلمساني:شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد(1968): نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تحقيق أحسان عباس، بيروت، دار الكتب العلمية، صـ329، وسيشار إليه لاحقا (المقري، نفح الطيب).

(3) بن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (توفي :257هـ)، فتوح مصر والمغرب، الجزء الأول، دار الذخائر،د.ت، ص 109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُعد قبائل البربر السكان الأصليين لبلاد المغرب ولهم صفات وفضائل حميدة، فنرى ذلك في وصف ابن خلدون لهم في كتابه "العبر" قوله: "وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم، من عز الجوار وحماية النزيل ورعى الأدمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام والرحمة بالمسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وتهيئة الكسب للمعدوم وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإباء الضيم ومقارعة الخطوب وغلاب الملك(1).

إسبانيا بعد الفتح الإسلامي:

ما أن تم الفتح الإسلامي لإسبانيا حتى بدأ الولاة في الأندلس على وجه التحديد في بث الاستقرار وتنظيم البلاد وإصلاحها وبدأت أعداد كبيرة من المسلمين تهاجر إلى بلاد الأندلس والعمل بهمة ونشاط من أجل إعلاء عقيدة الإسلام في هذه البلاد الجديدة، وقد اتبع الفاتحون السياسة الحكيمة المتسمة بالرفق والاعتدال والوفاء بالعهود والالتزام بها في كل الظروف، وتمثل ذلك في حُسن السياسة للرعية بكل فئاتها، كما عمدوا إلى التنظيم الإداري الخاص بكل من المسلمين وغير المسلمين، ونتيجة لذلك دخل كثير من أهل الأندلس في الإسلام وأصبح غير المسلمين أقلية يحتكمون إلى قضاءهم، وقد ترك المسلمون للنصارى وغيرهم حق اختيار قضاتهم ورؤساءهم، أما التنظيم الإداري والمالي فقد تمتعت الأندلس باستقرار كان يضعف أحيانا في عهد الولاة، واستفادوا من التقسيم الإداري الذي كان موجود قبلهم(2).

(1) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (توفي :808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 5، تحقيق / أبو صهيب الكرمي، تونس، بيت الأفكار الدولية، 2009، ص64.

(2) أرشيف ومكتبات الأندلس، الجزء الأول، 1921م، ص 6 – 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاتجاه في التنظيم الإداري الإسلامي - ومنه الأندلس - يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن، فاعتمدوا على الكُور (جمع كُورة) بحيث يتبع كل كورة عدة مدن، يتبع المدينة عدة أقاليم (قرى كبيرة) ثم أجزاء (مزارع أو أرياف) كما كانت في الأندلس مراسي (موانٍ)، وقد قامت بعض الأعمال العمرانية، منها إنشاء المساجد في المناطق المختلفة، وهو أمر كان أول شيء ينجزه المسلمون حين يقيمون في مكان ما، وكذلك المدارس في المساجد أو الربط أي أماكن مرابط الجنود أو غيرها من أماكن التعليم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعرفت المساجد في العالم الإسلامي دوما بأنها معاهد للتدريس، وتعددت أنواع العمارة، فمنها العمارة الدينية مثل المسجد الجامع في قرطبة وجامع عمر بن عدبس بإشبيلية(1) وجامع مدينة الزهراء(2) ومسجد الباب المردوم بطليطلة(3) وجامع قصبة الموحدين(4) بإشبيلية، والعمارة الحربية مثل قصبة(5) ماردة وأسرار إشبيلية، والعمارة المدنية الممثلة في الدور والقصور كقصر الجعفرية بسرقسطة وقصور الحمراء بغرناطة، والحمامات مثل حمام الجوز بغرناطة، والفنادق مثل فندق الفحم بغرناطة وقناطر المياه مثل قناطر مياه قرمونة بإشبيلية، ودور الصناعة مثل دار صناعة السفن بإشبيلية(6).

(1) شيده بإشبيلية القاضي عمر بن عديس سنة 214 هـ، بأمر من الأمير عبد الرحمن الأوسط. لم يتبق منه في الوقت الحاضر سوى جزء من الصحن والجزء الأدنى من المئذنة، ومع ذلك فلهذه الآثار القليلة أهمية بالغة إذ توقفنا على جانب هام من جوانب فن العمارة الأموية في عهد الإمارة.

(2) الزهراء مدينة أندلسية مشهورة، تبعد عن قرطبة 13 كم، تشتهر بعمارتها وما استخدم فيها من الذهب والرخام قام ببنائها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله بين عامي 936 و940م، وقد بناها لتماثل قصور دمشق العاصمة الأموية القديمة، وازدهرت لنحو 80 عاماً، ثم هجرها أهلها من جند قرطبة خلال ثورة الأمازيغ.

(3) من أقدم معالم طليطلة، تم بناؤه سنة 390 هـ بعد احتلال المدينة من قبل النصارى سنة 1085 م، حوّل المسجد إلى كنيسة تسمى نور المسيح، المسجد بناء مربع الشكل (7,74م x8,60م) مقسم إلى 3 أرواق بواسطة 4 صفوف من الأقواس، الكل تحت تسعة قبب مسندة إلى صفوف الأقواس الحدوية على شكل حدوة الفرس، التي تعد من أهم خصوصيات الطابع المعماري الأندلسي ذات الأصل القوطي المرتكزة على 4 أعمدة وسطية، القبة الوسطية مرتفعة عن باقي القبب ومزودة بنوافذ جانبية تسمح بدخول الضوء إلى البناء.

(4) جامع أمر ببنائه السلطان الحفصي أبو زكرياء الأول بين عامي 629 هـ و633 هـ بمدينة تونس العتيقة، وكان يسمى في العهد الحفصي باسم جامع الموحدين.

(5) القصبات الأندلسية ثكنات عسكرية بناها الأمازيغ في الأندلس إبان الحكم الإسلامي في الأندلس وهي مشابه للقصبات المغاربية وقد كان الغرض منها الدفاع عن منطقة ما وما جاورها. تبنى القصبات في أماكن حصينة ومنيعة بحث يكون بوسع الجنود المجابهة مدة أطول حتى لو سقطت المنطقة التي يدافعون عنها. وقد أقام المسلمون القصبات في المدن الأندلسية الكبرى كالمرية وغرناطة وجيان وقرطبة و أنتقيرة وقلعة بني سعيد وبطليوس ووادي آش ومالقة وماردة وملين أرغون.

(6) عوض عبد الفتاح، إشراقات أندلسية، مرجع سابق، ص 11 -13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناية واهتمام الخلفاء الأمويين بالتعليم في المغرب والأندلس:

كان لحكام بلاد المغرب وبلاد الأندلس من الأمويين الدور الفاعل في رعاية الحركة العلمية نتيجة لشغفهم بالعلم والأدب، وكافة مناحي الحياة الثقافية، وذلك تمهيداً لبناء دولة قوية راسخة لديها كافة مقومات العلم الحديث ووسائله، فكانت أساليبهم وسياساتهم تكشف عن جانب كبير من اهتماماتهم العلمية والأدبية التي أسسوا لها كحركة علمية مستقلة ذات شأن(1).

وقد ساهم مكوث المسلمين في بلاد المغرب والأندلس لفترات طويلة تأثير كبير على المجتمع في تلك البلاد وعلى سلوكياتهم وأعمالهم، مما ساهم في اندماجهم في تلك المجتمعات بطريقة سريعة مهدت إلى بناء المجتمع الإسلامي الجديد، فمنذ الفتح الأول وفِد إلى بلاد المغرب الكثير من الجنود المسلمين العرب الذين استقر غالبيتهم فيما بعد بمدينة القيروان وقد قال اليعقوبي(2)" في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك"(3).

ومما يدلل على اهتمام الخلفاء الأمويين بنشر التعليم في كافة أنحاء بلاد المغرب والأندلس، أنهم انتهجوا سياسة عامة وهي شاملة لكل أبناء تلك البلاد من الذكور والإناث، كذلك وبالإضافة إلى توفير كافة المنشآت للتعليم، كما عمل الخلفاء الأمويين على توفير كافة الإمكانات المادية

---

(1) ابن سعيد المغربي، البيان المغرب، ج2، المغرب، دار المعارف للنشر والتوزيع،د.ت، ص 58.

(2) أحمد اليعقوبي هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي كاتب ومؤرخ وجغرافي مسلم عاش في زمن الدولة العباسية وأحد مؤرخي أواخر القرن التاسع ميلادي، ينتمي لطبقة الكتاب وقد قامت شهرته على أثرين من آثاره هما: كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي؛ وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة 258هـ وكتاب البلدان؛ وتحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام. ولد في بغداد وقضى بعض حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر، توفي في مصر سنة 284هـ.

(3) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان، ط6، دار صادر للطباعة، دمشق،1993، ص 384.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تتيح للكثير من أبناء الفقراء أن يتعلموا بدون تكاليف تعيقهم عن استكمال مسيرتهم التعليمية، كذلك كانت السياسات الخارجية للدولة تشجع على انتشار التعليم بصورة واضحة، حيث أن الأمويون عملوا على تحقيق الاستقرار في البلاد بعد سنوات من الخلافات القبلية في عصر الولاة، واهتموا كثيراً بنشر الإسلام واللغة العربية فيها، كما كانت اللغة العربية هي لغة الثقافة والتفاهم عند المسلمين، ويُذكر أن هشام الأول(1) (139-180هـ/756-796م) عمل اتخاذ العديد من الإجراءات المهمة التي ساعدت على انتشار التعليم وانتشار اللغة العربية بصورة أخرى، فقد جعل من اللغة العربية لغة التعليم في المعاهد النصرانية واليهودية في بلاد المغرب والأندلس، فكانت لتلك السياسة العديد من النتائج المهمة التي تأثر بها المجتمع في بلاد المغرب والأندلس، فكان ذلك الإجراء من الأسباب التي مهدت إلى التقريب بين العديد من الشرائع وانتشار ثقافة الوسطية بين الأديان والتعرف عليها، كذلك في بث روح التفاهم والوئام بينها، ولاسيما بين المسلمين والنصارى وكان من أثره الإيجابي أنه قد كثُر اعتناق النصارى للإسلام بعد أن وقفوا على أحواله وتفاصيله(2).

في بداية انتشار التعليم في بلاد المغرب والأندلس كان للتعليم الديني الكلمة العليا في ذلك الوقت، وذلك نتيجة أن الكثير من العلماء والفقهاء المسلمين كانوا مشاركين في الفتح مع الجيوش الإسلامية أو القتال أو الإفتاء أو لحل الكثير من المسائل الشرعية والوعظ للجنود وتثبيت الهمم، فكان هؤلاء العلماء والفقهاء بمثابة النواة التي أسست التعليم في تلك البلاد.

---

(1) أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي، ثاني أمراء الدولة الأموية في الأندلس، والمعروف بلقب هشام الرضا.

(2) خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، ليبيا، منشورات جامعة قار يونس، ط2، 1966، ص 166، وسيشار إليه هكذا (خالد الصوفي، تاريخ العرب الأندلس – عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي تاريخ الدولة الأموية يذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز(1) أرسل إلى المغرب العديد من الفقهاء والعلماء، بهدف تفقيه الناس في الدين الجديد ومعرفة قواعده، كما قام الأمويون بوضع نواة المدارس الأندلسية الأولى في مسجد أشبيليه الذي أسسه عبد العزيز بن موسى بن نصير(2) ومسجد قرطبة، وكان المعلمون في الأندلس يعتمدون في تدريسهم على الكتب التي تجلب إليهم من الشرق أو على مؤلفاتهم، وكان أبناء الأمراء والولاة والخلفاء الأمويين من أوائل طلاب العلم، ويظهر اهتمام الخلفاء والأمراء الأمويين بتعليم أبنائهم ما أعده الخلفية الأموي الحكم لتعليم ابنه هشام بن الحكم بأنه أمر بإعداد قاعة خاصة بقصر الزهراء وأن تزود بجميع ما يحتاج إليه لذلك، وجلب العلامة النحوي أبا بكر الزبيدة الإشبيلي ليقوم بتدريس العربية وعلومها لولي العهد، ثم بعد عام ندب الفقيه المحدث يحيى بن عبد الله بن يحيى(3) عمدة المحدثين بقرطبة ليقوم بإسماعه الحديث(4).

---

(1) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (99هـ - 101هـ)، هو ثامن الخلفاء الأمويين، عمر الثاني، ولد سنة 61هـ في المدينة المنورة، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم، وفي سنة 87هـ، ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ، فصار والياً على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة.

(2) عبد العزيز بن موسى بن نصير ثاني ولاة الدولة الأموية في الأندلس خلفًا لوالده موسى بن نصير أول ولاتها، كما أنه أحد القادة الذين شاركوا في الفتح الإسلامي للأندلس.

(3) أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (152 هـ - 234 هـ) إمام وفقيه الأندلس وصاحب واحدة من أشهر روايات الموطأ، أخذها عنه أهل المشرق والمغرب، وشيخ المالكية في الأندلس في زمانه.

(4) خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، مرجع سابق، ص 167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس:

تختلف أغراض الناس من التعليم، فكل أمة لها غرض من التعليم يتمحور هذا الغرض حول الأحوال المختلفة لكل أمة من سواء كانت تلك الأحوال المختلفة اجتماعية أو سياسية أو دينية، بالإضافة إلى أن كل عصر يختلف عن سابقه أو لاحقه لتحقيق أغراض وأهداف معينة من التعليم، فتعدد تلك الأغراض ما بين التعليم لإكساب الخبرات لاكتساب الرزق أو تعزيز ثقافته أو غيرها من الأغراض(1).

وعلى ذلك كانت الرؤية تتبلور في الهدف العام من التعليم في العصر الأموي، الذي كان يعتبره خلفاء بني أمية واجب ديني مقدس، هدفه تخلق الإنسان المسلم بأخلاق الدين الإسلامي الحسنة التي دعا إليها القرآن الكريم والسُنة النبوية، وكان العلماء ينظرون إلى التعليم بأنه المسار الأهم في تثقيف أهل المغرب والأندلس بالثقافة الإسلامية لبناء مجتمع مزدهر حديث، وكان الهدف المراد تحقيقه هو ترسيخ القواعد السلوكية داخل الفرد المسلم والتي من شأنها أن ترتقي به ليعيش حياة كريمة حرة، ولذلك يقتضي على الإنسان المسلم الطالب للعلم أن يتعلم ما يعنيه على عبادة الله سبحانه وتعالى في المقام الأول، فكانت هناك قاعدة لدى خلفاء بني أمية بأن عبادة الله تعالى على الوجه المطلوب لا تتأتى إلا بطلب المعرفة والتعلم(2).

---

(1) حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، القاهرة، دار المتحدة للنشر، 1978، ص 88.

(2) محمد صالحية، مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المحلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 3، الكويت،1981، ص 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما كانت الظروف التي هيأها خلفاء بني أمية في عصر الإمارة لها دور أساسي في إقبال الناس على العلم، بل منهم من انقطع له بدراسة العلوم الشرعية ونشرها بين الناس من منطلق أن نشر العلم وتفقيه الناس أمانة يجب أن يبلغها للناس، وكان ذلك نتيجة البيئة المناسبة للدراسة التي وفرها خلفاء بني أمية في المغرب والأندلس(1).

كذلك فإن التعليم كان يُنظر له بأنه سوف يكون القاعدة لإعداد جيل قادر على حمل المسؤولية للقيادة في كافة مجالات الدولة الاقتصادية والتعليمية والثقافية والسياسية والاجتماعية(2).

ونستخلص من ذلك بأن الهدف الديني كان الهدف المقدم والأساسي والواضح في تعليم هذا العصر وكان القصد منه تعليم الناس الدين علماً وعملاً، وكان هذا الهدف في ذاته متضمناً أهداف ثانوية أخرى نتيجة له، فالتعليم الديني يثقف العقول ويعلي مكانة صاحبه الاجتماعية ويساعد الفرد على كسب الرزق وتهذيب الأخلاق، وتوجيه الإنسان المسلم إلى الحياة الخيرة الفاضلة وتنمية عقله، وتأهليه لما يستطيع أن يقدمه لنفع الإنسان في دنياه وأخرته.

التعليم في الأندلس:

اتسم التعليم في بلاد الأندلس بالتنوع والتعدد، فلم يقتصر إقبال الأندلسيون على العلوم الدينية فقط، بل كانت لهم دراسات في علوم علمية أخرى كالفيزياء، وعلم العقاقير، والزراعة، والذي ظهر جلياً إبداعهم فيه بتسجيل كافة إنجازاتهم في التجارب على التربة والنباتات،

(1) محمد حسن العمايرة، محمد حسن، الفكر التربوي الإسلامي، عمان، دار المسيرة،2001، ص 31، وسيشار إليه لاحقاً، (محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي).

(2) خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، مصدر سابق، ص172.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشار ابن خلدون(1) إلى المواد التعليمية التي تقدم لطلاب العلم بقوله: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتابة، وجعلوه أصلًا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر، والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجربة الخط والكتابة، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر وأبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب، وتعلق بأذيال العلم على الجملة" وكان هناك اهتمام خاص بالأطفال من قبل القائمين على التعليم في بلاد المغرب وبلاد الأندلس، فقد كان تعليم الصغار من الأولويات الرئيسية في السياسات التعليمية التي انتهجها حكام بلاد المغرب والأندلس في تلك الفترة، كما كانت الظروف الاقتصادية للمتعلمين تؤثر في عملية تلقي العلم ونوعيته، فكان من لديه المال يجلب المعلمين إلى منزله، أما متوسطي الدخل وغير الأغنياء فكانوا يذهبون بهم إلى الكُتَّاب القريب من المسكن(2).

أسس التعليم من منظور إسلامي:

الأساس المعرفي:

ينظر الإسلام إلى جميع المعارف من علوم شرعية وعلوم تطبيقية يجب على الفرد المسلم أن يتعلمها، وذلك حسب الفائدة المرجوة منها والنفع الذي تحققه للفرد وللمجتمع على السواء، بجانب ضرورة عدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية، وعلى ذلك فإن طبيعة المعرفة المرجوة من المنهج التدريسي للطلاب يجب أن تكون نابعة من التعاليم الإسلامية، هذا؛ وقد قسم العلماء العلوم إلى علوم فرض على المسلم تعلمها كالفقه وعلم الكتاب والسُنة النبوية وعلوم ليست فرض على المسلم لتعلمها

(1) عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1332 - 1406م)، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة، ولِيَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية. ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي.

(2) ابن خلدون، بن محمد ولي الدين، مقدمة ابن خلدون جـ2، تحقيق / عبد الله محمد درويش، دمشق، دار يعرب للنشر، 2004، ص1240. وسيشار إليه فيما بعد (ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقاموا بوضع إطار عام لها فيما هو محمود تعلمه أو مذموم تعلمه، ويعد الأصل في التعليم الإسلامي نابع من الأصول الأربعة التي يندرج تحتها كافة العلوم وهو كتاب الله والسُنة النبوية المطهرة وإجماع الأمة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم، وما يندرج منها من فروع كالتفسير وعلم الحديث واللغة وآدابها وعلم الأنساب، فتلك العلوم تعد من فرض الكفايات بالنسبة للعلماء(1).

ونستنتج من ذلك أن الأساس المعرفي لمناهج التعليم من منظور إسلامي قائم على مقومات العقيدة الإسلامية والفلسفة الناشئة منه التي تشكل الخبرات والمعلومات المكونة للمنهج الدراسي، والتي تستمد من الأدلة العقلية والنقلية والحسية التي تسعى لنهضة المجتمع المسلم والارتقاء به في كافة المناحي، فالقرآن من منظور إسلامي هو بمثابة نقطة الانطلاق لبناء النفس البشرية في الفرد وبناء الأسرة وبالتالي المجتمع.

الأساس الفلسفي والفكري:

وتضمنت في طياتها تعاليم الإسلام العقيدة والعبادة والتشريع للحكم والفقه ونظام الأسرة والمجتمع وجميع ميادين الحياة وفق التصور الإسلامي، فالإسلام بهذا المفهوم يعد أيدولوجية المجتمع المسلم وعقيدة الفرد والجماعة والتوجيه والتشريع، ويعد هذا الأساس الفلسفي والفكري للتربية الإسلامية القائم على الإيمان بالله تعالى آله واحد خلق الإنسان على الأرض كخليفة له يعبده ويعمرها ويتسلح بالأسباب في سبيل إعاشته وحثه على العلم ومعرفة الأسباب والتفكر فيها للوصول إلى أفضل الحلول الممكنة لحياة كريمة.

(1) حسن عبد الرحمن، الفكر التربوي من منظور إسلامي، 2006، ص 3 – 4 وسيشار إليه (حسن عبد الرحمن، الفكر التربوي من منظور إسلامي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأساس النفسي:

جل اهتمام التعليم من منظور إسلامي هو المعرفة عن النفس لاكتشاف قدراتها وميولها واتجاهاتها، وذلك لمعرفة رغبات طالب العلم لتوجيهه لما يرغبه ويشبع حاجاته ويتوافق مع ميوله واتجاهاته، وذلك لكي يستفيد من تلك العناصر في تحقيق النمو المتكامل لجمع جوانب العلم، وليلبي كافة احتياجاته العقلية والجسمية والحسية والنفسية والأخلاقية بتوازن(1).

تنوع التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس:

تنوع التعليم تبعاً للمدارس الفكرية التي يقدمها العلماء، فكانت هناك مدرسة للعلوم الدينية التي تقدم لطلاب العلم، في مختلف العلوم كالقرآن الكريم وعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه والسيرة النبوية وغيرها من العلوم المتعلقة بالعلم الديني، وذلك لتعريف المتعلم بكافة أمور دينه وشريعته مما يساعد على تنشئة مجتمع إسلامي على قدر من الوعي بأمور وأحكام ذلك الدين، كذلك الطبيعة العربية التي تتباهى وتفتخر بالنسب وأخبار الأولين، واهتمامهم بالسير وقصص الغزو للسابقين، كانت هناك مدرسة تاريخية لتلقين طلاب العلم تلك العلوم التي تهتم بالتاريخ ومن أهمها السيرة والمغازي وعلم الأنساب والأخبار(2).

كما ألف الأندلسيون في علوم القرآن والحديث والفقه، وفي القضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والتاريخ والسيرة والجغرافية وألفوا في علوم الطب والحساب والهندسة والفلك والكيمياء والمنطق والفلاحة والكلل، وفي الفلسفة والموسيقى، بحيث لم يتركوا حقلاً من حقول المعرفة والعلم إلا طرقوها(3).

---

(1) **كمال حبيب، مناهجنا.. آخر الحصون - مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط2، الإسكندرية، مكتبة الانجلو مصرية، 2009، ص 213.**

(2) **محمد منير مرسي، أصول التربية، القاهرة، عالم الكتب،1996، ص156.**

(3) **كريم عجيل، الحياة العلمية في مدنية بلنسية، بغداد، مؤسسة الرسالة،1975، ص 263.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما كان للغة العربية النصيب الأكبر في الرعاية والاهتمام كونها لغة التدريس ولغة الدولة فكانت علوم اللغة من الأهمية بحيث تولاها كثيرين من العلماء والفقهاء والقضاة على حد سواء، ومن أهم تلك العلوم التي تقدم لطلاب العلم مثل علم النحو واللغة والشعر والأدب والكتابة.

أما معتنقي الفكر الحديث من علماء وفقهاء، فكانت مدارسهم قائمة على تعليم العلوم العلمية والتجريبية التي من شأنها الارتقاء بكافة مناحي حياة الإنسان، وذلك عن طريق الابتكار والاختراع وتنظيم الأمور بطريقة علمية، من أهم تلك العلوم التي كانت تقدم ومتاحة للدارسين:

علم الطب:

الذي شهد نهضة كبيرة في بلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي لها، ونبغ العديد من الأطباء ورواد صناعة الأدوية في اكتشافات ساهمت في تقدم علم الطب في كافة أنحاء العالم في ذلك الوقت، وكان النصارى من أوروبا يأتون إلى تلك البلاد لتلقي العلاج على يد العلماء والأطباء العرب(1).

وأثمرت جهود المسلمين في تطوير علم الطب وتأثرت ثقافة الغرب الطبية تأثراً عميقاً بما اقتبسه من العرب في هذا المضمار، والمسلمون أول من مارسوا عمليات الجراحة في العالم إطلاقاً، ووضعوا المؤلفات فيها وفي طرقها والأمراض التي يجب استئصالها والآلات والأدوات التي تستعمل وهم أول من اكتشفوا وسائل التخدير، وأنشأوا المستشفيات وقسموها قسمين قسم الرجال والنساء، وقسموا كل قسم إلى أقسام على حسب المرض وأقاموا المعازل لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية بل أن للمسلمين الفضل في إنشاء المستشفيات المتنقلة(2).

(1) محمد محمد شريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي،1966، ص 178.

(2) نوفل عبد الرزاق، المسلمون والعلم الحديث، بيروت، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1977، ص80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم الكيمياء:

كان علم الكيمياء مرتبطاً بعلم الطب في تلك الفترة، حيث كانت مركبات الأدوية تعد بصعوبة بحيث يكون على صانعها أن يكون مؤهلاً بعلوم الطب لكي يستطيع أن يصنع العقاقير الخاصة بالأطباء في ذلك الوقت، ونبغ العديد من الكيميائيين الأندلسيين الذين برعوا في علمهم(1).

ولمس الأوروبيون بشكل جلي الجهود العلمية البارزة التي بذلها مسلمو الأندلس في علم الكيمياء فوصلت إليهم ثروة كبيرة من المعرفة والحقائق، والتجارب والنظريات العلمية، فأخذ طلاب الغرب يقبلون على دراستها وترجمتها إلى لغاتهم فحفزت فيهم روح البحث والشغف باستقراء الحقائق وتتبعها، فزاد اطلاعهم على هذا النتاج العلمي الخصب، واعتمدوا الأدلة والبراهين في قضايا العلوم الطبيعية، فبدأت أوروبا بحوثها في هذا المجال على أساس واقعي سليم وبناء نظري منسق وكان ذلك بفضل الانطلاق العربي في البحث العلمي والابتكار، وثمة كلمات عربية مستعملة في اللغات الأوروبية في حقل الكيمياء وتدل على جهود المسلمين في هذا العلم عند الغربيين الكيمياء (alchemy)، الكحل (alcuhal)، زرنيخ (arsenic)، بورق (barax)، الاكسير (elixir)، قرمز (kermes)، كبريت (kibruit)، الانبيق (linbick)، نفط (naphta)، عطر (attar)، الزئبق (assogue)، قطران (caudran)، بنج (bang)، سموم (simouim)(2).

(1) حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، جامعة الموصل، 1977، ص 279 وسيشار إليه (حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب).

(2) مصطفى لبيب عبد الغني، الكيمياء عند العرب، القاهرة، (ب.ط)، 1979، ص 109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإضافة إلى تلك العلوم كان علم الجبر وعلم الجغرافيا والهندسة من العلوم التي لاقت اهتماماً واسعاً من طلاب العلم نظراً لكونها من الأهمية في الدراسة نتيجة زيادة التعاملات وزيادة الرقعة الإسلامية في المعمورة والاكتشافات التي ساهم فيها الجغرافيون العرب مشهورة في تاريخ العلم القديم والحديث، كذلك كانت الهندسة المعمارية من الأهمية والآثار المتروكة في تلك البلاد خير شاهد على تقدم ذلك العلم في عصر الخلفاء الأمويين في بلاد المغرب والأندلس، كذلك في مجالي الهندسة والرياضيات عامة فقد توصل علماء العرب في الأندلس إلى حقائق علمية رائدة في علم الفلك (علم الهيئة) منهم صاحب القبلة أبو عبيدة البلنسي(1) الذي قام بكروية الأرض واختلاف المناخ في أنحائها(2).

علم الترجمة:

كان لعلم الترجمة لدى علماء وفقهاء المسلمين أهمية كبيرة، بحيث كانوا يرغبون في التعرف على التجارب الأخرى من الحضارات السابقة والمعاصرة لمعالجة الكثير من الأمور، وذلك نظراً لاتساع رقعة الدولة ومساحتها ومواردها، فكان التعرف على أفكار الآخرين بمثابة فرصة للتعايش مع تلك المجتمعات والتعرف على مدى التقدم الذي وصلت إليه عن طريق ترجمة كتب علماؤهم في كافة مجالات العلم والأدب، وكان الاهتمام بعلوم الترجمة بصفة عامة له العديد من البواعث والأسباب ومنها ما يلي:

دخول المسلمين إلى أراضي جديدة لا تتبع للثقافة العربية، فكانت فرصة للاحتكاك بتلك المجتمعات والثقافات للتعرف عليها واكتساب الخبرات اللازمة منها.

(1) أبو مروان عبد الله بن عبد الرحمن الداخل المعروف بلقب عبد الله البلنسي (توفي في 280 هـ)، هو أحد أبناء عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، الذي ثار على خلفاء أبيه بداية من أخيه هشام الرضا فابن أخيه الحكم الربضي ثم حفيد أخيه عبد الرحمن الأوسط.

(2) حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص186.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاجة المسلمين إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في الطب ومعرفة الحساب.

الاهتمام الواضح من خلفاء بني أمية بحركة الترجمة وإصرارهم على ترجمة أكبر كم ممكن من الكتب المرجعية والمصادر المشهورة في ذلك الوقت، فقاموا بتوفير الوسائل والسبل للتشجيع عليها.

علم الفلك:

يعد علم الفلك من العلوم المهمة في الأزمنة السابقة، وذلك نظراً لاعتماد الكثير من البشر عليه في طرق التجارة أو في السفر أو البحر، وكان المسلمون يطلقون عليه العديد من الأسماء ومنها اسم علم الهيئة، علم النجوم، علم صناعة النجوم(1).

وازدهر علم الهيئة (الفلك) عند المسلمين في الأندلس لحاجاتهم إليه في تحديد القبلة وتعيين أوقات الصلاة، وقد تطور هذا العلم إلى دراسة حركات النجوم وظهور حركة التنجيم، واخترعوا الساعات الشمسية لمعرفة الأوقات، فقد صنع عباس بن فرناس أو آلة (وهي نوع مبتكر من الساعات) (2).

ويبدو من مجرد النظر في المصطلحات الفلكية العديدة ذات الأصل العربي يدلنا على أن الغرب مدين لما قام به المسلمون من دراسات فلكية، لأن معظم هذه الأسماء قد تركت في الوقت الحاضر واستعيض عنها بأسماء غيرها ومن هذه الأسماء العذارى (Adara)، السها (Alcor)، الجنب (Algenib)، الفكة (Alphacca)، الجبهة (Algieba)،

(1) سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي – بحث مكمل لنيل رسالة الماجستير، بليدة، الجزائر، د.ت، ص 107.

(2) المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج4، ص 345.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرش الجوزاء (Arsh)، بنات نعش (Benatnasch)، السرطان Cancer، الكلب الأكبر CamisMa,or، الكلب الأصغر (Camis Minor)، ذنب الدواجن (Deneb Eldolphinas)، ذنب الجدي Deneb (Elokab)، ذنب العقاب (Daneb Elkab)، النصل (Alnasl)، الراعي التنين (Etanin)، فم الحوت (Famu Lhout، رأس الأسد (Res Al Asad)، رأس الثعبان (Res toban)، سعد الملك (Saod Al Maleik)، سعد السعود (Saod Saoud) العذراء (Virgo)، قرن الثور (Tauri)، السموات (amwet)(1).

الفكر التربوي عند المسلمين:

تعد التربية الإسلامية هي أساس الحضارة المزدهرة التي أسسها المسلمون الأوائل، كذلك فإن الاتجاهات الحديثة في الفكر التربوي المبنية على اكتشاف قدرات وجوانب الفرد العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية تتفق مع كافة معطيات التربية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، فمستقبل المجتمع المسلم مبني على أهداف التربية الإسلامية في كافة مؤسساته التعليمية التي تهتم بفعالية التربية الإيمانية والأخلاقية والجسدية والعقلية والنفسية بصورة فيها توزن فيما بينها، وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة من التعليم والتربية بصفة عامة.

وهذا المنهج الذي انتهجه المسلمون الأوائل الذين صبوا اهتمامهم بالتربية الأخلاقية والإيمانية لدى طلاب العلم عن طريق المواد الشرعية التي تؤسس لأخلاق مجتمع مسلم حضاري، كذلك الاهتمام بالعلوم الدنيوية لما فيها من صالح للإنسان يستتبعه نفع للمجتمع وتقدم علمي يساعد على نهضة حضارية للدولة المسلمة في كافة مناحيها العلمية والدينية والإنسانية والثقافية، وبالتالي الاقتصادية والاجتماعية.

(1) ماجد عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية، ط3، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، 1973، ص 225.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اتبع المعلمين إبان الدولة الأموية في بلاد المغرب والأندلس الفكر الإسلامي القائم على التربية الإسلامية التي تجمع بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، وبذلك يكونوا قد جمعوا بين عناصر التربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون أن يطغى جانب على الآخر(1).

طرق التعليم في المغرب والأندلس في عصر الإمارة:

أولا: طريقة التلقين:

وهي أقدم الطرق وأشهرها؛ ويُعَرف التربويون طريقة التلقين بأنها: "هي الطريقة التي يكون فيها الدور الرئيسي لعملية التعليم للمعلم، فهو الذي يقوم بإعداد الدرس وتحضيره، ثم يقوم بعرضه وشرحه وتوضيحه"(2).

ويعرف التلقين في لسان العرب بأنه: "لقن: اللقن: مصدر لقن الشيء يلقنه لقنًا، وكذلك الكلام، وتلقنه: فَهِمه، ولقنه إياه: فهَّمه، وتلقَّنته: أخذته لقانية"، كما يعرفه الفيروز آبادي في القاموس المحيط بأنه: "لقن كفرح فو لقن، وألقن حفظ بالعجلة، والتلقين كالتفهيم"(3).

(1) حسن عبد الرحمن، الفكر التربوي من منظور إسلامي، 2006،، ص3 – 4.

(2) سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، الإسكندرية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1996، ص 113، وسيشار إليه لاحقاً (سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي).

(3) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت، 2/268.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرية تلقين العلوم عند ابن خلدون:

قال ابن خلدون: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج، شيئًا فشيئًا، وقليلاً قليلاً، يلقي عليه أولاً مسائلَ من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب، و يقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقَبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيَّأته لفهْم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانيةً، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن، فتجود مَلكته، ثم يرجع به وقد شدا، فلا يترك عويصًا ولا مبهمًا ولا منغلقًا إلا وضَّحه، وفتح له مغلقه، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته"(1).

ثانياً: طريقة الإملاء(2):

للإملاء مـنـزلة كبيرة بين فروع اللغة، فهو من الأسس الهامة للتعبير الكتابي، وإذا كانت القواعد النحوية والصرفية وسيلة لصحة الكتابة من النواحي الإعرابية والاشتقاقية ونحوها، فإن الإملاء وسيلة لها من الناحية الخطية، والخطأ الإملائي يشوه الكتابة،وقد يعوق فهم الجملة، وللإملاء مهمة كبيرة جدا بالنسبة للصغار، فمن خلال النظر لكتابة التلميذ يمكننا تحديد مستواه، لذلك برز تدريس الإملاء في المغرب والأندلس لأنها الأساس الذي يُنبى عليه المعلم التعريف باللغة ومشتقاتها وكلماتها والكتابة الصحيحة، وخاصة أن الترجمة بدأت في عصر الإمارة تأخذ منحى أكثر جدية وتوسع، لذلك نشطت طريقة الإملاء لتعريف أهل المغرب والأندلس باللغة العربية الصحيحة، لا سيما أن تلك البلاد لم تكن تعرف تلك اللغة من قبل ولها لغاتها المتعددة.

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، جـ2، مصدر سابق، ص 531 – 532.

(2) هو عملية التدريب على الكتابة الصحيحة لتصبح عادة يعتادها المتعلم، ويتمكن بواسطتها من نقل آرائه ومشاعره وحاجاته وما يُطلب إليه نقله إلى الآخرين بطريقة صحيحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت تنقسم إلى طريقتين وهما على النحو التالي:

الأولى: مجلس المعلم:

وفيه يقوم المعلم بعقد مجلساً للإملاء لأن المتعلمين ليس في استطاعتهم استيعاب المعلومات كلها عند سماعها، لذلك يلجؤون لتخصيص ساعات إضافية يملون فيها ما سبق لهم أن سمعوه، وبذلك يتأكدون من سلامة الأخذ والنقل.

الثانية: الإلقاء الشفوي:

وهي أن يلقي الشيخ مباشرة فلم يكن العالم يخصص وقتا معين للإملاء ولكن يلقي عليهم الأحاديث وهم يكتبونها في حينها ثم يعرضونها فيما بعد فيصححها لهم(1).

وتعرف بأنها: "عرض شفويّ لا يُسمح فيها للمستمع بالسؤال في أثناء المحاضرة، وإنّما بعد الانتهاء منها"(2).

وقد أتبع المحدثون للإملاء صورتين أساسيتين وهما كالتالي:

أن يملي درسه على الطلبة من ذاكرته وحفظه وليس في يديه مذكرات أو كتب يملي منها.

أن يملي الشيخ من كتاب بين يديه ويجلس معه ثلاثة أو أربعة من طلاب العلم يكتبون معه وهو يقرأ من الكتاب الذي بين يديه(3).

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي، دمشق، دار التراث العربي للنشر، د.ت، ص 64، وسيشار إليه (أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي).

(2) أفنان نظير، النظرية في التدريس وترجمتها علمياً، عمان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 1.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ص 321.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: طريقة القراءة والعرض:

تعتبر من طرق تحمل الحديث وروايته وقد شاع استخدامها في الشام في القرن الثاني الهجري وانتقلت إلى الأندلس مع تواجد الأمويين، و جاء الاهتمام بالقراءة باعتبارها أساساً للتعليم بمعناه المعروف، كما أنها تعد بوابة لتعزيز المعارف واكتساب الخبرات والتعرف على أشكال عديدة من المواد التعليمية في تلك الطريقة، كذلك فإن القراءة تعد إحدى وسائل التعليم المثمرة وحيث إن تعليم الكتابة مرتبط بتعليم القراءة، فزاد الاهتمام بها وخاصة وأن القرآن الكريم لغة العرب له مفردات يجب أن تقرأ بطريقة صحيحة(1).

القراءة:

وفيها يقوم المعلم بالقراءة من الكتاب المراد التعلم منه، وبالمقابل يقوم الطلاب بالكتابة على نسخهم، أو يقرأ طالب من المجموعة في وجود المعلم، ويقوم الطلاب الآخرون بالكتابة، ويكون دور المعلم تصحيح الأخطاء وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم للكلمات(2).

العرض:

وفيها يتم المراجعة لكل ما قام الطالب بكتابته بعرض ما كتبه ومراجعته مع النسخة الأصلية التي تم النقل عنها للتأكد من مطابقة النسخة الجديدة التي تسمى (الفرع) بالنسخة القديمة التي تسمى الأصل وإصلاح ما يوجد من مفارقات من خطأ أو زيادة(3).

---

(1) محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ص 140.

(2) أحمد بن علي البغدادي، الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، ط3، بيروت، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،1973، ص 207.

(3) سهيلة محسن الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط2، عمان، دار الفجر الحديث للنشر، 1994، ص 109، وسيشار إليه (سهيلة محسن الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، مرجع سابق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتم تعريفها بأنها: "عرض لفظيّ أو شفهيّ للمعلومات من المعلّم إلى المتعلّمين، وقد يتخلّلها عرض الأسئلة أو المناقشة، وبهذا فإنّ الحواسّ المشاركة في استلام المعلومات من قبل المتعلّم هما حاسّتا السمع والبصر بصورة رئيسة"(1).

ومن خلال التعريفين السابقين يتضح لنا أنه لا يوجد فروقات كبيرة بينهما، فالهدف الأساسي لكلا الطريقتين هو ضبط الطالب للحديث ومطابقته للحديث الأصلي وتصحيح ما به من خطأ، بل إن هناك من العلماء لا يرى فروق بينهما ويصنفهما كطريقة واحدة كالسيوطي الذي قال في ذلك: "القراءة هي ثاني طرق تحمل الحديث، ويسميها أكثر المحدثين عرضاً وسواء قرأت، أو قرأ غيرك، وأنت تسمع من كتاب أو حفظ، حفظ الشيخ، أم لا، إذا أمسك أصله هو أوثقه وهي رواية صحيحة"(2).

رابعاً: طريقة القصة:

تعد القصة من طرق التدريس التي تعتمد على العرض الحسي المعبر، الذي يتبعه المعلم مع متعلميه لتعليمهم حقائق ومعلومات عن شخصية أو موقف أو ظاهرة أو حادثة معينة بقالب لفظي أو تمثيلي أو قد تستخدم لتجسيد قيم أو مبادئ أو اتجاهات أو أخلاق مرغوبة (3).

وفي العصر الأموي كانت طريقة التدريس بالقصة في مكانة مهمة من طرق التدريس، حيث أن خلفاء بني أمية كانوا يبدون اهتمام كبير بها وذلك للعديد من الأمور ومن أهم تلك الأسباب السياسية-الدينية - التسلية وأخذ العظة والعبرة، فالقصص القرآني ثري بكل القصص الدينية كقصة أهل الكهف وقصة الفيل، كذلك قصص الأنبياء والأمم السابقة.

---

(1) طارق علي العاني،، وآخرون، طرائق التدريس والتدريب المهني، ط 1، طرابلس، المركز العربي للتدريب المهني وإعداد المدربين، 2000، ص 149.

(2) جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شريح تقريب النووي، ط3، تحقيق/ محمد الفارياي، الرياض، مكتبة الكوثر، 1986، ص 12.

(3) سهيلة محسن الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، مرجع سابق، ص 110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهمية القصة في التعليم:

القصة واستخدامها في التعليم لم يكن استراتيجية حديثة فحسب، بل استخدمه المسلمون الأوائل في طرق تعليمهم نتيجة اهتمامهم بالقصص القرآني الذي يعد من أهم موارد القصة ممثلاً استراتيجية القصة التعليمية في أدق صورها، فتلك الطريقة ذات أهمية كبيرة في مخاطبة وجدان وعقل المتعلم، كما أن الرواية القصصية تُحدث تنوعاً معرفياً لدى المتعلمين من خلال الأفكار والحوادث وما يتخللها من عمليات عقلية في الربط والتحليل والتفسير والتقويم، وغيرها من العمليات العقلية(1).

لذلك زادت أهميتها من خلال كونها تحقق من خلال تطبيقها:

أن المعلم يستطيع من خلالها توصيل المعلومة إلى الطالب بطريقة جاذبة للمتعلمين.

من خلال القصة يستطيع المعلم توجيه الطالب التوجيه السليم فتستخدم القصة لعرض بعض القيم الدينية والخلقية والسياسية والاجتماعية والعلمية لدورها وقدرتها على الإقناع عن طريق المشاركة الوجدانية.

تعد القصة من الأساليب التعليمية غير المباشرة التي تعتمد على الإيحاء "فكل قصة تنتهي حتما بعبرة، هي بمثابة موعظة تستنتج استنتاجا (2).

---

(1) حمد عبد العزيز الخرب،، وآخرون، طرق التدريس العامة بين التقليد والتجديد، الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 2003، ص 67.

(2) منذ ر سامح العتوم، طرق التدريس العامة، ط 1، الرياض، دار الصميعي، 2007، ص 142.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فوائد التعليم بأسلوب القصة:

هناك العديد من الفوائد التي يجنيها المتعلم والمعلم من استخدام أسلوب القصة في التدريس:

أولاً: تنمي الجانب المعرفي والإدراكي للمتعلم ببحثه في المعنى المقصود من الظاهرة أو المفهوم في موضوع القصة.

ثانياً: مساعدة المتعلم على بناء فهم للمفهوم العلمي و موضوع القصة من خلال تضمين المفهوم في الحياة العادية للطالب.

ثالثاً: تظهر مدى فهم المتعلم للمفاهيم العلمية و موضوع القصة، وذلك من خلال إعطاء الطالب مفاهيم معينة أو قيامه بالعصف الذهني واستخراجه هو للمفاهيم التي سيقوم بكتابة قصة حولها. فكاتب القصة يظهر فهمه للظاهرة من خلال قصته.

رابعاً: إتاحة الفرصة للمتعلم لإظهار إمكانياته وتعزيز القدرات التخيلية لديه، بالإضافة إلى التعبير عن شعوره حول موضوع القصة بطريقة ابتكارية.

خامساً: يتيح للمتعلم الفرصة لإظهار مهارته الكتابية بالإضافة إلى استخدامه الكتابة في التعلم.

سادساً: مساعدة المعلم في تقييم طلاب العلم لديه لمفاهيم القصة اللغوية والمعنوية، ذلك الهدف من القصة والدروس المستفادة منها، وذلك لقابلية استخدامها كطريقة تقويم(1).

---

(1) محمد محمود الحيلة، مهارات التدريس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2002، ص 117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: الترغيب والترهيب:

الترغيب:

ويعنى به "تأميل المرء وإغراؤه بمنفعة عاجلة أو آجلة لقاء طاعة معينة"، وعادة ما يستخدم هذا الأسلوب في تعليم الأطفال أو من فقد الرغبة في إتمام تعليمه فيتم ترغيبه بالعلم من خلال تصوير وتذكيره بالمنفعة المترتبة على هذا العلم والمكانة التي سيحصل عليها عند الانتهاء من تعليمه.

الترهيب:

وهو "وعد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به".

وظهر أسلوب الترغيب والترهيب مصاحبا للموعظة فقد كان الوعاظ يدعمون مواعظهم بالترغيب بالجنة وكل ما يقرب إليها من قول وعمل والترهيب من النار وعذابها وكل ما يقرب إليها من قول وعمل(1).

---

(1) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار الفجر الجديد، د.ت، ص 87، وسيشار إليه (ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: طريقة السؤال والجواب:

تعتبر طريقة السؤال والجواب (المحادثة) من أقدم طرائق التعليم، فقد كان الفيلسوف اليوناني سقراط(1) أول من استخدمها كطريقة تدريس، حيث كان السؤال والجواب وسيلته الرئيسة لإكساب تلاميذه المعارف، فكان يحاول من خلال طرحه للأسئلة إثارة تفكير تلاميذه في الاتجاه الذي يريده ويوجههم لمعرفة جوانب الضعف والقصور في معارفهم، ويعمل من خلال السؤال والجواب الى قيادتهم لاكتساب المعارف، ويعرِّفها بعض الباحثين أنها عبارة عن "وسيلة فعالة لتوجيه (الناشئ) وإرشاده بالتدرج، وفق مستواه العقلي والتحصيلي إلى التوصل إلى حقائق الأشياء بنفسه وتوضيحها له في حالة عجزه"(2)، واستخدمها العلماء في عصر بني أمية في العملية التعليمية، وذلك لشعورهم بأهميتها ومالها من تأثير ونالت درجة عالية من التقدير جعلتهم يصفون السؤال بأنه نصف العلم(3).

نفقات التعليم في العصر الأموي في المغرب والأندلس:

1- نفقات الدولة:

لم تكن في عصر الخلافة الأموية في المغرب والأندلس آلية خاصة تحكم إنفاق الدولة على التعليم، فالدولة لم تتبنى نظامًا واضحًا، إضافة إلى بعض العطايا والجوائز التي كان يعطيها الخلفاء للعلماء وطلاب العلم وتتفاوت في مقدارها من شخص لأخر، فدعم الدولة لم يكن مقننا ومنظما بالنسبة للتعليم ولعل ذلك يرجع لعدة أسباب:

---

(1) فيلسوف وحكيم يوناني (469 ق.م - 399 ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي.يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه. ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة، تعتبر حوارات "أفلاطون" من أكثر الروايات شمولية وإلمامًا بشخصية "سقراط"، بحسب وصف شخصية "سقراط" كما ورد في حوارات "أفلاطون"، فقد أصبح "سقراط" مشهورًا بإسهاماته في مجال علم الأخلاق.

(2) محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ط3، عمان، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1998، ص 66. وسيشار إليه (محمد حسن العماري، الفكر التربوي الإسلامي).

(3) حلمي أحمد الوكيل، المناهج (المفهوم ـ العناصر ـ الأسس ـ التنظيمات ـ التطوير)، الإسكندرية، الأنجلو المصرية، 1996، ص 67.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتبار العلم وطلبه واجبًا دينيًا، فكان الخلفاء يرون أنه يجب على الفرد القيام به من منطلق إيماني يدفعه لذلك.

يرى العلماء - في ذلك العصر- عدم جواز أخذ أجر على التعليم وخاصة تعليم القران الكريم مستندين بذلك على أحاديث جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم تنهى عن أخذ الأجر، وكان هناك رأي آخر يرى جواز أخذ الأجرة على التعليم(1).

مجالات الإنفاق على التعليم في المغرب والأندلس:

اتخذ إنفاق الدولة الأموية على التعليم عدة أشكال منها:

- النفقة على تأديب أولاد الخلفاء:

عمل خلفاء بني أمية في عصر الإمارة على إكرام المؤدبين وتوفير كل وسائل الراحة لهم حتى يتفرغوا لأبناء الخليفة فأغدقوا عليهم العطايا والأجور وقاموا بتسديد الديون عنهم وخصصوا لهم أماكن يسكنون فيها في قصورهم حتى يتفرغوا للتعليم والتأديب ولا يشغلهم شيء عن ذلك(2).

- أجور ومكافآت العلماء والفقهاء:

كان خلفاء بني أمية في عصر الإمارة يجزلون العطايا والصلات للعلماء والفقهاء ويكافئونهم بالجوائز والهبات، واتخذت عدة أشكال هذه العطايا والهبات، منها ما كان مباشرًا مكافأة وأجرًا على التعليم، ومنها ما كان غير مباشر كنوع من المساعدات، وبما أن بعض العلماء كان يرفض الأجر إلا أنه كان يقبل المساعدات غير المباشرة(3).

(1) سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي – بحث مكمل لنيل رسالة الماجستير، بليدة، الجزائر، د. ت، ص 75، وسيشار إليه (سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي).

(2) محمد حسن العماري، الفكر التربوي الإسلامي، ص 112.

(3) محمد حسن العماري، الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص 113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هبات الخلفاء للشعراء والأدباء:

ظهر اهتمام الدولة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس بالأدب والشعر من خلال احتضان الشعراء وتقديم الأعطية لهم من قبل الخلفاء والأمراء، وذلك نتيجة إدراكهم لأهمية الشعر وقدرته على التأثير في الناس، خاصة أن الدولة كانت تعاني من الثورات والأحزاب المعادية كالشيعة والخوارج والزبيريين فجرد الخلفاء سلاح الشعر باعتباره أقوى وسائل الدعاية ضد خصوم الدولة" وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز وساعد اهتمام الأمويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظة وروايته، ولقد دلت النصوص الكثيرة من خلال الصلات لأولئك الأدباء والشعراء أنها كانت من بيت المال بالإضافة إلى ما يقدمه الخلفاء لهم من أموالهم الخاصة(1).

النفقة على مرافق التعليم:

- الإنفاق على المساجد: قام المسجد بدوره التعليمي منذ أيامه الأولى، هذا الدور الذي أوضحه وبينه رسول الله في حديثه ليفرق بينه وبين البعد الشعائري من إقامة الصلوات في المساجد، قَوله "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه مسلم.

---

(1) محمد حسين هادي العواجي، النفقات المالية في الدولة الأموية، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1993، ص 36.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اهتم الأمويون بالمباني والمنشآت المدنية كالطرق ومشروعات الري والقصور والتأنق فيها، فقد كان اهتمامهم أعظم بالمنشآت الدينية وفي مقدمتها المساجد، فالمسجد أهم مؤسسة في الإسلام فقد كان أول شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة عندما هاجر إليها أن أسس مسجده العظيم، الذي كان مكانا للعبادة وتبليغ الوحي وإدارة الدولة الإسلامية وفيه ربى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم أصحابه وشرائع الإسلام وفنون القيادة في ميادين الحرب والسياسة والإدارة، وقد حذا المسلمون حذو الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مكان حلّوا فيه، وفي كل مدينة جديدة أسسوها، فكان أول شيء يهتمون ببنائه هو المسجد وفعلوا ذلك في العديد من البلدان بعد أن فتحوها مثل البصرة(1) والفسطاط(2) والمغرب العربي والأندلس بعد فتحها(3).

(1) ثالث أكبر مدينة في جمهورية العراق وهي المركز الإداري والسياسي لمحافظة البصرة، تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية لشط العرب وهو المعبر المائي الأول في العراق، كما تعتبر البصرة العاصمة الاقتصادية للعراق.

(2) المدينة التي بناها عمرو بن العاص عقب فتح مصر عام 641م وهي تقع بمقربة من حصن بابليون تقع على ساحل النيل في طرفه الشمالي الشرقي، قبل القاهرة بحوالي ميلين، وكان النيل عندها ينقسم إلى قسمين. وموضعها كان فضاءً ومزارعَ بين النيل والجبل الشرقي ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن بابليون الذي يطل على النيل من بابه الغربي الذي يعرف بباب الحديد.

(3) وفاء محمد سحاب، تاريخ اختطاط العرب المسلمين للمدن في الأندلس، الأنبار، جامعة الأنبار، د.ت، ص 216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك يعد المسجد من أهم واكبر المؤسسات التعليمية في العصر الأموي وحظي باهتمام بالغ، لذا فقد أقام الأمويين العديد من المساجد على مر السنين في بلاد المغرب والأندلس، لا سيما وأن الجامع له دور كبير في العالم الإسلامي، حيث يعتبر رمز وجود وكيات للمسلمين، بالإضافة إلى كونه مكان للعبادة واجتماع المسلمين ومدرسة للعلم، ونلتمس ذلك في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة، حيث قام ببناء مسجد قباء(1) على أطراف المدنية ثم المسجد النبوي الشريف داخل المدينة كأول كيان واضح لتواجد المسلمين، ويعد مسجد قرطبة من العلامات البارزة التي أقام الأمويون لبنتها الأولى وعملوا على أن يكون منارة علم وحاضرة تعليم وتأديب للطلبة والمتعلمين من مختلف الديانات والبقاع(2).

وقد احتل بناء المساجد والعناية بها مكاناً بارزاً في عصر بني أمية على اتساع العالم الإسلامي، فكانوا يزيدون في مساحة المساجد التي كانت قائمة في عهدهم لكثرة المسلمين، والعمل على بناء المساجد في البلدان التي تم فتحها كمصر والمغرب العربي والأندلس انتشرت المساجد في العصر الأموي في كل الأمصار الإسلامية بحيث يصعب حصرها، ومنها على سبيل المثال: مسجد القيروان الذي بناه عقبة بن نافع في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة (50-55هـ/670-674م)، وجامع الزيتونة في تونس الذي بني في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 114هـ والمسجد الجامع بواسط، ومسجد قصر الحي الشرقي، والمسجد الجامع بحران، والمسجد الجامع بالإسكندرية، المعروف بجامع الألف عمود، والمسجد الجامع بقرطبة(3).

(1) أول مسجد بني في الإسلام، وأول مسجد بني في المدينة النبوية، ومن حيث الأولية فإن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون، يقع المسجد إلى الجنوب من المدينة المنورة.

(2) السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، دار المعارف، 1962، ص 74.

(3) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دراسات في تاريخ الدولة الأموية (42هـ - 132هـ)، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت، ص 52 – 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الإنفاق على الكتاتيب:

الكتاتيب باعتبارها من المراحل الأساسية الأولية في حياة المتعلم، ومن الأهمية بحيث يتوجب توافر الدراسة فيها لكل أفراد المجتمع، فكانت الدولة منوط بها الإشراف عليها وتوفير كافة المواد التي تحتاج إليها لممارسة العملية التعليمية بداخلها، فكانت مواردها من بيت المال تحقيقاً لمسئولية الدولة في تعليم الناس.

- الإنفاق على تدوين العلوم:

نتيجة كون الدولة الحديثة في بلاد المغرب والأندلس ليست لديها كافة الكوادر البشرية التي تستطيع التكفل بالقيام بكافة أعمال الدولة في كافة مناحيها، فكانت حركة التدوين في أشدها، وعلى ذلك كان يتم الاستعانة بالعلماء من الشام والحجاز لتدوين الكثير من العلوم، فكانت تكلفة هؤلاء العلماء من بيت مال المسلمين،ويظهر ذلك الاهتمام الكبير الذي أبداه خلفاء بني أمية لكل مجالات التعليم في بلاد المغرب وبلاد الأندلس.

- الإنفاق على الترجمة:

شجع خلفاء بني أمية الترجمة وظهرت بوادرها في ذلك العصر ويعتبر العصر الأموي البذرة الأولى لازدهار وظهور الترجمة لأمهات الكتب لعلماء الغرب في كافة المناحي والمجالات، وكان الإنفاق على الترجمة وما تستلزمه من أوراق وأقلام وأحبار من بيت المال فضلاً عن المكافآت التي يتحصل عليها المترجمون من الخلفاء(1).

(1) سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي، مرجع سابق، ص 77-78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: إنفاق العلماء:

كان العلماء المسلمين في بلاد المغرب وبلاد الأندلس من المسئولية بحيث كان تجردهم لصالح الأمة خير شاهد على أفعالهم، فلم يكتفوا بتقديم العلم فقط، بل منهم من كان يساهم في تحمل تكلفة عض المواد، أو بتقديم أنفسهم في أعمال تطوعية لا يتخذون عليها أجراً وذلك حسبة لله وللمسلمين، وكان منهم من يتكفل بالتلاميذ النجباء والذين لا تتحمل ظروفهم الاقتصادية التفرغ للدراسة والعلم، فكان نبوغهم رخصة لتكفل هؤلاء العلماء بهم.

ثالثا: إنفاق الطلاب:

أدى حرص الطلبة على طلب العلم إلى بروزهم كمصدر من مصادر تمويل التعليم وبرز إسهام الطلاب في تمويل التعليم من خلال أشكال متعددة مثل: الجمع بين الدراسة والعمل في إحدى المهن للإنفاق على أنفسهم، أو من خلال إنفاق الطلاب على أنفسهم من الأموال التي ورثوها.

رابعا: الإنفاق من الهبات والإعانات:

ويراد بها التبرع والتفضل على الغير سواء كان بمال أو بغيره، ولقد لعبت الهبات والصدقات دورًا في مجال تمويل التعليم؛ لأن التمويل الحكومي لم يكن منظمًا وكافيًا بالنسبة للتعليم، وكان متواضعًا نوعا ما عما في العصور التي تليه فقد كانت أجور المعلمين غير ثابتة وغير كافية أحيانا، وكان كثير من العلماء لا يقبلها تورعا ولكن الهبات كانت تلقى قبولاً منهم؛ لأنها نوع من الهدية وقد قبل الرسول الهدية فهم يتفقون على قبولها، والهبات تعطى من بيت مال المسلمين وأحيانًا من مال الخليفة الخاص،ولم تقتصر على الخلفاء بل تعدتها إلى أهل الخير من عامة الناس والموسرين منهم، ولم تكن الهبات خاصة بالمعلمين بل تعدته إلى طلاب العلم فقد كان أهل الخير يتعهدون برعاية ونفقة من يرون أن له رغبة ونجابة في التعليم(1).

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، بيروت، دار المعارف للنشر، د.ت، ص 43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: الإنفاق من الوقف:

أولاً: الوقف في اللغة: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الواو والقاف والفاء أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه(1).

الوقف في الاصطلاح :عرفه الفقهاء بتعاريف مختلفة، باعتبارات مختلفة، حتى أننا نجد لفقهاء المذهب الواحد أكثر من تعريف.

أولاً: تعريف الحنفية: أختلف فقهاء الحنفية في تعريف الوقف، والسبب في هذا يرجع إلى اختلافهم في الوقف هل هو لازم أم لا؟ ولذلك فإن فقهاء الحنفية في تعريفهم للوقف يفرقون بين تعريفه على رأي أبي حنيفة وبين تعريفه على رأي الصاحبين.

وتعريف أبي حنيفة للوقف هو: حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير(2).

وبناء عليه يصح للواقف الرجوع عن الوقف وله بيعه؛ لأن الوقف عند أبي حنيفة غير لازم كالعارية(3).

أما عند الصاحبين الذين يريان أن الموقوف يخرج عن ملك الواقف فالوقف هو: حبس العين على ملك الله تعالى، وصرف منفعتها على من أحب(4).

---

(1) الفارسي، علي بن بلبان (ت 739 هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرياض، مؤسسة الرسالة، 1994، ص 37.

(2) أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد تقي الدين (ت 702هـ) حكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تحقيق : أحمد محمد شاكر، د. ط، 1987، ص 214.

(3) محمد شلبي، أحكام الوصايا والأوقاف، ط4، بيروت الدار الجامعية، 1984، ص 163.

(4) محمد بن عبيد الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ط3، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1976، ص 73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: تعريف المالكية للوقف: عرّف فقهاء المالكية الوقف بأنه:

إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيها ولو تقديراً(1).

وعليه فإن المالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكي، وتبرع بريعها لجهة خيرية شرعاً، لازماً، مع بقاء العين على ملك الواقف، فلا يشترط فيه التأبيد.

ثالثاً: تعريف الشافعية: من أشهر تعاريف الشافعية للوقف هو تعريف الشربيني حيث قال: إنه حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود، وعليه يخرج المال عن ملك الواقف، ويصير حبيساً على حكم ملك الله تعالى(2).

رابعاً: تعريف الحنابلة: عرفه فقهاء الحنابلة بأنه: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة(3).

ويعد الوقف من أهم مظاهر الدولة الإسلامية، وهو ما يتم التبرع به للدولة أو ما تخصصه الدولة كمشروع خيري لأبنائها، وقد انتشر الوقف الخيري في عصر خلفاء بني أمية في المغرب والأندلس حتى أنهم جعلوا ديوان مستقل للوقف، موجهة مصارفه إلى وجوه البر والإحسان من بناء المساجد والإعانة على علم نافع والدعوة إلى الله أو المشاريع الخيرة(4).

---

(1) الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت 244هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، ط2، مكة، مطبعة النهضة، 1986، ص 124.

(2) شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ط3، د.ط، 1934، ص 243.

(3) محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين، د.ط، 1978، ص 211.

(4) سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي، مرجع سابق، ص 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاريخ الوقف عند غير المسلمين:

الوقف معروف عند الأمم السابقة قبل ظهور الإسلام وبعده، وإن لم يسم بهذا الاسم، فالإنسان في القدم عرف المعابد ورصد عليها العقارات، والأراضي، للإنفاق عليها من غلتها، وعلى القائمين بأمرها، ولا يفسر هذا إلا على أنه في معنى الوقف.

ومن هنا يمكن القول، إن فكرة الوقف كانت موجودة قبل الإسلام عند كثير من الأمم السابقة، فقد وجدت عند قدماء المصريين فكانت الأراضي ترصد على الآلهة والمعابد والمقابر، وتؤخذ غلتها للنفقة عليها، كذلك ينفق على الكهنة والخدام من هذه الأموال، وكان الناس وقتها مدفوعين إلى هذا التصرف بقصد فعل الخير والتقرب إلى الآلهة كما زعموا، وكان هذا الشيء موجوداً عند قدماء العراقيين، وعند الرومان وغيرهم(1).

ومن الأوقاف التي اشتهرت عند العرب قبل الإسلام، الوقف على الكعبة المشرفة، لكسوتها وعمارتها كلما تهدمت، وأول من كسا الكعبة، ووقف عليها أسعد أبو كرب(2) ملك حمير(3).

---

(1) أحمد الدريويش، الوقف مشروعيته وأهميته الحضارية، ج1، ب.ط،د.ت، ص57.

(2) تبع أسعد أبو كرب الحميري أو أبو كرب أسعد، ويعرف في كتب التراث العربية بإسم أسعد الكامل (؟-430 ميلادية) أحد ملوك مملكة حمير اليمنية وأطولهم عمرا فقد تولى الحكم في 378 حتى وفاته وقد دلت النصوص انه كان عقيما وتوزع الملك من بعده على اسرته ودب الخلاف بينهم ونجح في تثبيت ملك أسرته ومهد عددا من الطرق في الصحراء العربية لتسهيل عبور القوافل، أول من أطلق على نفسه لقب "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم"، يشاع أنه كان يهودياً، لكنه كان يتبع ديانة توحيدية حميرية متأثرة باليهودية متمحورة حول الإله رحمن.

(3) بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما قول الشافعي: لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمته داراً، ولا أرضاً تقرباً بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام، فالإمام الشافعي هنا لم ينف وجود الأحباس في الجاهلية قطعاً، بل نفى وجود الأحباس التي يقصد منها القربة والبر آنذاك، وعلى هذا فإن فكرة الوقف أو حبس العين عن التمليك والتملك، وجعل منافعها مخصصة لجهة معينة، فكرة قديمة معروفة قبل ظهور الإسلام بزمن بعيد(1).

حال الوقف فـي العصر الأموي:

لقد ازدهرت الأوقاف في العصر الأموي ازدهاراً عظيماً، وذلك في مصر والشام وغيرهما من البلاد المفتوحة، وذلك بسبب كثرة الأموال التي تحصّل عليها المجاهدون من الفتوحات الإسلامية، وكان من ثمار ذلك، أن اتسعت مجالات الوقف في ذلك العصر. فلم يعد الوقف قاصراً على جهات الفقراء والمساكين فقط بل تعدى ذلك إلى بناء دور العلم والإنفاق على طلاب العلم، وإنشاء المساجد والدور الخيرية، وقد أدى إقبال الناس على الوقف والاهتمام به، إلى إنشاء هيئات تتولى الإشراف عليه، وتتولى مصالحه، وقد كانت الأوقاف في بادئ الأمر تدار من قبل الواقفين، أو ممن يوكلون إليه إدارتها والقيام بمصالحها، إلا أن كثرة الأوقاف وتنوعها، استدعى ذلك أن تقوم بعض الأجهزة بالاهتمام بالأوقاف.

وقد كان القضاة في بغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي يتولون الإشراف على الأوقاف بأنفسهم ويحاسبون المتولين عليها، فإذا رأوا منهم أي تقصير، أو تهاون في حفظ الأوقاف وصيانتها قاموا بتأديبهم والأخذ عليهم(2).

(1) إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، الوقف ودوره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، السعودية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2000، ص 64.

(2) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض، دار العاصمة، 1999، ص88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تطور التعليم في بلاد المغرب الأندلس في عصر الإمارة:

أظهرت الدولة الأموية في المغرب والأندلس اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء بالإضافة إلى طلاب العلم، وقد عمدت إلى تشجيع طلب العلم انطلاقاً من حث القرآن الكريم والسنة النبوية عليه، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(1) وقال جل شأنه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(2) وقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) (3).

فقد قام أمراء بني أمية في بلاد المغرب الأندلس برعاية العلم والعلماء رعاية كاملة، ويدل على ذلك أن بلاد المغرب العربي في أول الفتوحات الإسلامية لها ضمت منذ وقت مبكر عدداً من العلماء الذين رحلوا إليها واستقروا فيها أو ولدوا ونشأوا فيها فيما بعد وكان لهم دور كبير في نشر التعليم في بلاد الأندلس، وقد وجد هؤلاء العلماء كل رعاية واهتمام من قبل الحكام الأمويين، وكان لهم دور مشهود في ازدهار العلم وتقدمه(4).

المؤسسات التعليمية في بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس في عصر الإمارة:

انتشر التعليم في المغرب العربي وبلاد الأندلس انتشاراً عظيماً وذلك يعود إلى اهتمام القائمين على تلك البلاد من الخلفاء والحكام لأهمية التعليم في نهضة الأمم، وكذلك لوجود بوتقة من العلماء والفقهاء المسلمين الذين رحلوا إلى بلاد المغرب العربي مع الفتح الإسلامي لها، واستوطنوا في تلك البلاد لنقل الحضارة الإسلامية وتعليم شعوب تلك البلاد،

---

(1) (المجادلة: 11).

(2) (الزمر: 9).

(3) ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت 275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، مجلد (1) حديث رقم (224).

(4) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م) تاريخ فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية – القاهرة الطبعة الأولى 1402هـ/1982م، ص56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخاصة أنهم مكثوا لفترات طويلة تحت الحكم الأجنبي للعديد من الدول الاستعمارية، كذلك كان لظهور العديد من العلماء فيما بعد من بلاد المغرب والذين رحلوا إلى بلاد الأندلس وكان هؤلاء العلماء في كل مجال من مجالات التعليم الديني والدنيوي، ونتيجة لذلك كثرت المدارس والجامعات وزاد الوعي الثقافي، وكانت من أهم مظاهر التعليم في بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس تعدد المصادر التي كانت تنفق على المتعلمين في كافة الأنحاء في البلاد، وفيما يلي عرض لأبرز المؤسسات التعليمية في بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس:

- الكتاتيب:

تعريف الكتاتيب: جمع كُتَّاب وهو مكان للتعليم الأساسي، كان يقام غالباً بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشـريعة والعربية، والتاريخ والرياضيـات ويعد أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم(1).

نشأة الكتاتيب عند المسلمين:

انطلق العمل بفكرة إنشاء الكتاتيب في وقت مبكِّر في تاريخ الإسلام، وذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية ونشوء الدولة الإسلامية، وهذا ما توضِّحه الرواية المشهورة التي فيها: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جعل فداء بعض أسرى بدر ممَّن لا مال لهم، أن يُعَلِّم الواحد منهم عشـرةً من الغلمان الكتابة فيُخَلَّى سـبيلُه، فكان ممَّن تعلَّم منهم زيْـدُ بن ثابت – رضي الله عنه(2).

(1) المعجم الوسيط: مادة (كتب)، ص 129.

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، الجزء 3، بيروت، مكتبة المعارف، 1990، ص328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهدف من إنشاء الكتاتيب :

وكان الهدف من إنشاء الكتاتيب قد تمثّل في تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم الأطفال والشباب، إذ أمر صلى الله عليه وسلم أسرى المشركين عقب بَدْر، أن يُعلِّم كل واحد منهم "عشرةً من الغلمان الكتابة، ويخلِّي سبيله، فيومئذٍ تعلّم الكتابةَ زيدُ بن ثابتٍ في جماعةٍ من غلمة الأنصار"(1).

وكما سبقت الإشارة فإن الكتَّاب يعد أول مرحلة تعليمية في حياة الطالب، وكانت متاحة لكافة الطلاب من جميع الطبقات والفئات، وتشتهر الكتاتيب بأنها دار لدروس تعليم القرآن من حيث القراءة والتجويد والتفسير، إضافة إلى تعليم اللغة العربية وكتابتها وقراءتها بصورة صحيحة.

وقد عرفت بلاد المغرب الكتاتيب البدائية البسيطة، أما الكتاتيب في بلاد الأندلس والتي كانت في معظمها كتاتيب قرآنية فكانت ذات هندسة مميزة عن باقي الأمصار الأخرى كإفريقية والمغرب من حيث الاعتناء بها، وهذا رغم أن تعاليم التربية توصى بعدم تزيين الكتاب بالحرير والصور ونحو ذلك(2).

---

(1) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الجزء 3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000، ص 134.

(2) إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، د.ت، ص 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يتم تجنب تعليم الصغار في المساجد تحفظاً من النجاسة، ويخضع الطفل إلى فترة تأديب وكان المسلمون في أشد الحاجة إلى المؤدِب الأمين المتخلق بخُلق القرآن، ويتضح أن المرحلة الأولى من التعليم في المغرب والأندلس هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على أحد المؤدبين في الكتاتيب، والتي يسميها الأندلسيون بالمحضرة أو الحضار(1)، وتم تسميتها بذلك كون التلاميذ يحضرون إليها ولكون المؤدِب يحضرهم ويهيئهم للمستويات التعليمية الأخرى، وكلمة المحضرة أو الحضار ما زالت مستعملة بالمغرب الأقصى والشرق الجزائري، وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره(2).

أنواع الكتاتيب:

كتاتيب تعليم القراءة والكتابة:

كانت أولى مبادئ التعليم هي تعلم القراءة والكتابة بطريقة صحيحة، فخصصت كتاتيب لتعليم الكتابة والقراءة لطلاب العلم، ومما هو جدير بالذكر أنه كان يتم التدريس لبعض الذميين فيها، فلم يكن يجلس لتعلم القراءة والكتابة من المسلمين في صدر الإسلام إلا عدد قليل جداً(3).

(1) المحضرة أو المحظرة هي جامعة شعبية يدوية مستقلة تلقينية التعليم وطوعية الممارسة، فهي من مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأصيلة تحمل بعض سمات وخصائص النظام التربوي الذي نشأ وازدهر في أحضان مدن الثغور وحواضر الخلافة، لكنها تتميز بسمات خاصة حيث يصبح (شيخ المحضرة) بمثابة رئيس جامعة أو عميد كلية له أساتذة ومعاونون يعملون تحت إمرته دون أن ينقص ذلك من علمه.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،د.ت، ص369.

(3) سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، مرجع سابق، ص 119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكتاتيب القرآنية:

كما كانت الكتاتيب الخاصة بتعليم قراءة القرآن قائمة بذاتها لتعلم القرآن، وكانت تلك الكتاتيب غالباً ما تتواجد داخل المساجد وتعقد حلقاتها داخله، فكان المعلم داخل الكتاب يقوم بتعليم اللغة والنحو إلى جانب القرآن، كمواد مساعدة على حفظ القرآن وهذه المواد تعد جزء مما كان يسمى آنذاك (الأدب)" (1).

أساليب التعليم في الكتاتيب:

كان الأسلوب السائد آنذاك "التلقين" فكان أسلوب التعليم في الكتاتيب، أي أن يقول المعلّم شيئاً ويردد الطلاب وراءه ما يقوله بصوت عال، ثم حدث تطوير للأمر وذلك بالكتابة على ألواح صغيرة يحضرها الطلبة معهم.

"قال عبد ربه بن سليمان(2): كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلّمني: "تعلّموا الحكمة صغاراً، تعملوا بها كباراً" وَ"إنَّ لكل حاصِد ما زَرَع من خير أو شر"(3)، وكانوا يستخدمون الأشعار والحكم في الكتابة، وكان منهج التعليم في الكتاب يتركز على" القرآن ومطالعته وتختار بعض آياته الكريمة لتكون مادة للتعليم، كما كان التلاميذ يتعلمون قواعد اللغة العربية وقصص الأنبياء وبخاصة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض الأحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب(4)".

---

(1) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار الفجر الجديد،د.ت، ص 103.

(2) الذهبي، محمد بن أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، جزء14، ط3، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 2001، ص 416.

(3) سمية محمد فراج الوافي، التعليم في الشام في العصر الأموي – بحث مكمل لنيل رسالة الماجستير، بيروت، الجامعة اللبنانية، 2001، ص 114.

(4) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي تاريخ مدينة دمشق، بيروت، دار الفكر،د.ت، ص 312، وسيشار إليه (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليوم الدراسي في الكتاتيب:

كانت هناك طقوس تمارس داخل الكتاتيب، وكان اليوم بداخلها منظماً للغاية، حيث تكون بداية اليوم هي مرحلة تدريس القرآن الكريم للصبيان وتمتد تلك المرحلة حتى قبيل الضحى.

ثم يليها مرحلة ثانية وتبدأ بعد الضحى يتم تعليمهم الكتابة وذلك إلى الفترة الظهر.

تدرس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر وأيام العرب والحساب، من بعد الظهر إلى آخر النهار.

وكانت تتخلل ذلك أيام الجمع وفترة الأعياد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى، فتعطل فيها الكتاتيب ولا يذهب إليها الصبيان(1).

التعليم في المساجد:

اتسمت طريقة التعليم في المسجد بشيء من الحرية للمتعلم، حيث كان في مقدور الطلبة اختيار المواد الدراسية التي يدرسها، وكذلك قدرته على اختيار والشيوخ الذين يلتحقون بهم بإرشاد من أقاربهم أو من الأساتذة الذين يثقون بهم.

"كانت العادة المتبعة، ليكون المرء عالماً بالفرع الذي يريد التخصص في أنه يستمع إلى محاضرات العالم الثقة في الفرع المذكور، ومتى أحسن الاستماع، ونجح في الامتحان أمام أستاذه، أجازه أو سمح له بتعليم الفرع الذي درسه وأتقنه"(2).

---

(1) **سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، 1998، ص 66.**

(2) **أبيض، ملكة، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، مرجع سابق، ص 109.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمسجد يعد هو المدرسة الأولى التي يتلقى فيها المتعلمون تعليمهم، و كان الحال في بلاد المشرق قبل نشأة المدارس التعليم في المساجد ومن أشهرها مسجد القرويين في بلاد المغرب، وانتقلت تلك الطريقة في بلاد الأندلس، ولذلك فإن معظم مساجد الأندلس لا سيما في المدن الكبرى مثل قرطبة العاصمة، وطليطلة، وأشبيلية، وغرناطة، وبلنسية، وجيّان وغيرها زاخرة وعامرة بحلقات العلم، فعادة ما كان المسجد مؤسسة دينية يتعلم فيها الطالب العلوم الدينية والفقهية بصفة خاصة، ولكن المسلمون الأوائل عملوا على أن يكون المسجد مصدراً وينبوعاً لكافة العلوم الدينية والعلمية والاجتماعية، وكثيراً ما شارك المسجد في تلك المسائل(1).

وقد ازدادت أهمية المسجد في بلاد الأندلس وخاصة بعد بدئه بتقديم العلوم الدنيوية بتقديم دروس علمية يحصل فيها طلاب العلم علومهم، وبذلك أصبح مماثل للمدرسة التي تم استحداثها في عصر متأخر عن التعليم بالمسجد(2).

فكان حرص خلفاء بني أمية في المغرب و الأندلس على إنشاء دور للتعليم والمحاضرات وتعميمها على كافة أنحاء البلاد وذلك ليدرس بها الفقراء والمساكين لنشر التعليم ببلاد الأندلس، حتى أهل الذمة الذين كانوا يريدون التعليم كانت دور التعليم الإسلامية تقوم بتدريسهم، كما أن كثيراً من نصارى الأندلس فيما بعد كانوا يتلقون علومهم العليا في مسجد قرطبة، واستأثر المسجد في الأندلس بتدريس علوم الشريعة واللغة إضافة إلى العلوم الأخرى(3).

---

(1) علي علام عبد الله، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي،1967، ص 69.

(2) عمر رضا كحالة، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص 112.

(3) عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، بيروت، دار الأمل للنشر،1958، ص 317.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت مرحلة التعليم بالمحاضر هي بداية دخول الطالب هي مرحلة المسجد ليستكمل تعليمه إن كان أهلاً لذلك أو يتجه لامتهان مهنة يتعيش منها، وعند اجتياز الطالب مرحلة المسجد كان يتحدد المستوى التعليمي والعملي له ليبدأ مرحلة التخصص وهي مرحلة أكثر تطوراً، ففيها يتتلمذ على يد الأخصائيين في ذلك العلم(1).

ومما هو جدير بالذكر أن البربر في بلاد المغرب أبدوا ترحاب كبير بالتعليم والاهتمام به كذلك أهل الأندلس كان لديهم شغف كبير على تعليم أبنائهم العلوم ليحظوا بأعلى الشهادات، وذلك نتيجة لما لمسوه من جودة التعليم في دور العبادة الإسلامية ونقاء سيرة المعلمين المسلمين، ومما يؤكد ذلك وصية كتبها الشيخ الفقيه القاضي عيسى بن عمران(2) لابنه يحثه على طلب العلم، مبينا له الوسيلة المثلى لنيل المناصب العليا(3).

طرق التدريس في المساجد:

كان ولا يزال المسجد في الثقافة الإسلامية منبراً ومدرسة وجامعة ومنارة للتعليم والعلم، كما كان له دور أساسي ورئيسي في التطور والنمو وأداء دوره جيلاً بعد جيل، ليؤدي مهامه في صناعة الحياة وليصبح أحد أهم الجامعات والمنارات العلمية والفكرية الرائدة، لذلك كان التعليم في المساجد في عصر الإمارة في بلاد المغرب والأندلس منتشراً في كافة أنحاء الدولة لما كانت توليه الدولة من اهتمام بتوفير العلماء والفقهاء ذوي المكانة والتمكن من العلم لتقديم علومهم لمختلف أبناء الدولة من طلاب العلم، وكانت المساجد تقدم العلم لطلابها بأكثر من طريقة ومن أهمها:

---

(1) نور الدين زرهوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، الدار البيضاء،1991، ص 54.

(2) ولد أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، بجيان سنة (413 هـ) وجيان من بلاد الأندلس متصلة بكورة إلبيرة مائلة إلى الجوف وشرق قرطبة، وهي كورة جليلة طيبة كثيرة الثمرة غزيرة السقي باطراد العيون. هكذا وصفها الحافظ النسابة الأندلسي أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي المعروف.

(3) محمد فخر الدين المنوني، فجر الأندلس - دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية،، ط2، الرياض، الدار السعودية، 1985، ص 33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريقة الحلقات:

تعد حلقات تعليم القرآن الكريم التي تقام في المساجد أو غيرها ذات أثر عظيم على شباب الإسلام وفتياتهم ونسائهم ورجالهم، فكانت تلك الحلقات متعددة الأغراض فمنها من كان لتلاوة القرآن و منها من كان لحفظ القرآن أو الإجازة في القرآن، أو للتعليم داخل المسجد.

أهداف الحلقات في المساجد:

تعليم الطلاب القرآن الكريم تلاوة وتجويدا وتدبيرا، والسعي إلى تحفيظهم له عن ظهر قلب.

غرس حب القرآن في نفوس الطلاب،وتعريفهم بعظمته،وتربيتهم على تعاليمه وآدابه.

حفظ أوقات الطلاب، والعمل على صرفهم لها فيما يعود عليهم بالنفع ديناً ودنيا.

تزويد الطلاب بجملة من أحكام الإسلام وآدابه، وبخاصة مالا يسع المسلم جهله، والقيام بتعليمهم بعض جوانب الثقافة الإسلامية، وشيئاً من سير الأنبياء والصحابة والعلماء،وذلك حسب ما يتناسب مع أعمارهم وثقافتهم(1).

أنواع الحلقات:

- حلقة الإقراء:

كان عامة الناس يبعثون بأولادهم إلى المساجد لتعليمهم القرآن، وذلك نظراً لاهتمام المسلمين بكتاب الله كونه مصدر التشريع الأول في حياة الإنسان وفي قانون الدولة، فكان من البديهي أن يكون المسجد هو المكان الملائم لتعليمه وقراءته، فقد، وقد روي أن أبا الدرداء هو الذي سن هذه الحلق فقد كان يسمى معلم الشام أو قارئ الشام، وسار على طريقة كثير من العلماء(2).

(1) أبيض، ملكة، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة،مرجع سابق، ص 99.

(2) أبيض، ملكة، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، مرجع سابق، ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حلقة الإفتاء:

نتيجة حداثة الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، فكان الكثير من حديثي الدخول في الدين الإسلامي ليسوا على ثقافة كاملة بقواعد الدين الإسلامي، لذلك كانت أسئلتهم في ميادين العلم وفي المساجد للعلماء تعد من الكثرة بحيث تعطل باقي الدروس أو خطب العلماء، لذلك كانت هناك مجالس للعلماء يتناولون فيها الإجابة على أسئلة المسلمين في أمور دينهم أطلق عليها مجالس الإفتاء أو حلقات الإفتاء(1).

- حلقة الحديث:

نظراً لما يتمتع به الحديث النبوي الشريف في نفوس المسلمين، فكان اهتمام العلماء والفقهاء المسلمين منذ الوهلة الأولى لفتح بلاد المغرب العربي وفيما بعد بلاد الأندلس نقل الحديث النبوي الشريف إلى أهل تلك البلدان، وذلك إيماناً منهم بضرورة تعريف أهل تلك البلدان بالسنة والحديث الشريف المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك فإن الحديث الشريف يعتبر علماً متفرداً في ذاته، وخاصة أنه له رواة وأسانيد وصحة، وكذلك شرحه الشرح الصحيح، كل ذلك أدى بالعلماء والفقهاء أن يفردوا للحديث النبوي الشريف مساحة كبيرة من حلقاتهم بالمساجد في المغرب وبلاد الأندلس(2).

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مرجع سابق، ص 321.

(2) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي،1982، ص187، وسيشار إليه فيما بعد (محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حلقة اللغة:

كانت اللغة العربية لغة جديدة على أهل المغرب وفيما بعد بلاد الأندلس، وقد استعرضنا في طرق التدريس لأهل تلك البلدان طريقة القراءة والعرض، فكان اهتمام العلماء والفقهاء باللغة العربي اهتمام كبير تجسده الحلقات التي أقيمت لتعليم المتعلمين والطلبة اللغة العربية الصحيحة قراءة وكتابة، وكانت تلك الحلقات تشتمل على مجالس النحو والشعر وكذلك الأدب، وكان ذلك بمثابة الإعلان الرسمي عن قوة الدولة بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرئيسية للدولة في كافة مناحيها من السجلات والدواوين والتعليم والمكاتبات، حتى في دور التعليم لغير المسلمين أو في دواوين العلوم العقلية والدينية على السواء، فكانت الثقافة العربية هي السائدة نتيجة تلك الجهود من خلفاء بني أمية لنشر اللغة العربية، ويظهر ذلك جلياً في احتفاظ بعض الأماكن أو المواد بأسمائها العربية حتى الآن في تلك البلدان.

- حلقة القصص والوعظ:

كما أسلفنا في استخدام طريقة القصة في التعليم، وكانت القصص القرآنية بمثابة نهر ينهل منه العلماء والفقهاء لتعليم طلاب العلم، فكانت حلقة القصص والوعظ تعتمد تلك الطريقة في التعليم، فكان يقوم فيه القاص بوعظ الناس وتذكيرهم بالآخرة عن طريق القصص وقد شهدت مساجد الشام في العصر الأموي إقبالاً كبيراً لهذه المجالس(1).

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، المصدر نفسه، ص 323.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواعيد التعليم في المسجد:

كانت المساجد مكاناً عاماً تفتح أبوابها لجموع المسلمين، وكانت مجالس العلم فيها متعددة وموجودة في كل حين ووقت، فقد كانت الحلقات تعقد في أي وقت بالليل أو النهار حسب رغبة المعلمين، وهناك من يقول أن المدرسين هم الذين كانوا يقرون متى يعقد الدرس وكم مرة في الأسبوع (1).

مدة الدارسة بالمسجد:

لم تكن هناك مدة محدودة للدراسة، فكانت تختلف مدة الدراسة تبعاً للعالم أو المتعلم، ولكن كون طبيعة المواد التي تدرّس في المسجد (علوم القرآن والحديث والفقه) كانت تستوجب من الطالب قضاء وقت طويل يلازم فيها أستاذه ويأخذ العلم عنه(2).

- المنازل:

كانت المنازل في بادئ الأمر في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي لها من أماكن التعليم، فكانت عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، وقد يكون غرفة في منزل، أو حانوتاً، أو فناء، ولم يكن له مكان معين يقام فيه، وعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس انتشرت تلك المنازل كمكان للتعليم، وكانت قرطبة تكتظ بكتاتيب أخرى مثل الكتاتيب التي أنشأها الحكم، وكان معلم الكتاتيب يسمى مؤدباً، وكان يأخذ أجراً علي تعليمه الناشئة(3).

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مرجع سابق، ص 329.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، المصدر نفسه، ص 331.

(3) محمد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، مرجع سابق، ص220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- منازل العلماء:

منازل العلماء، وقصور الحكام والأمراء كانت من أماكن التعليم في بلاد الأندلس، فهناك ظروف معينة حتمت علي بعض العلماء القيام بالتدريس في منازلهم كما كان الأمراء يتخذون بعض المؤدبين لأبنائهم وهذا يقتضي بالطبع أن يتم التعليم داخل القصر السلطاني. فقد كان أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي عالماً باللغة مجوداً للشعر مؤدباً لأبناء عبد الرحمن بن الحكم، والأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان له مكتب بقصر الخلافة. كما كان أبو محمد عبد الله بن بكر الكلاعي(1) مؤدباً لأبناء الأمير عبد الرحمن أيضاً وكان مؤدباً بالنحو، عالماً باللسان، مبرزاً في الشعر(2).

- المدارس:

نظراً لطبيعة عدم الاستقرار التي عانى منها المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب وبلاد الأندلس في بداية دخول المسلمين إلى تلك البلاد لم تنتشر المدارس بالصورة المعتادة ، ولكن بعد فترة من الاستقرار للدولة الوليدة في تلك البلاد، فقد لعبت دوراً كبيراً في النهضة العلمية التي شهدتها بلاد المغرب العربي والتي انتقلت فيما بعد إلى بلاد الأندلس، فكانت المدرسة في ذلك الوقت تتألف من غرف عديدة للراحة ولخزن الأمتعة ولإقامة الطلبة وخاصة أن الطلبة كانوا يأتوها من مدن بعيدة

(1) أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي السَّفاقسي، أخذ ببلده سفاقس، ودخل المغرب والأندلس، ودرس في بلاد المصامدة واستوطن سبتة أخيرًا، وكان فقيهًا أصوليًّا متكلمًا عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض، توفي بأغمات في المحرم سنة 505 هـ.

(2) ضيف، شوقي عبد الله. (ب.ت): عصر الدول والإمارات، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، الإسكندرية، ص 61.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت هذه المدارس تخضع لإشراف "المحتسب"(1)، ويجمع المعلم أو المؤدب عددًا محدودًا من الأطفال في مكان صغير مفتوح على الشارع، يطلق عليه اسم "المصرية"، يدرس لهم بأجر برنامجًا معروفًا غير مكتوب، تحدده التقاليد، وبعقد محترم منه ومن ولي الطفل، وفي هذه المرحلة يحفظ الطفل جانبًا من القرآن الكريم، ويحفظ قصائد من الشعر، ومقتطفات من النثر، ويدرس شيئًا من النحو وقليلًا من الحساب، والكتابة والقراءة على الطريقة "الجملية"، ويبدو أنها لم تكن مقبولة من الكافة، ويدفع الأجر للمعلم في كتابه، أو جاء إلى البيت، طبقًا للعقد، ويكون سنويًّا، ويتضمن المادة أو المواد المطلوب تعليمها، وشكل التعليم، والزمن المخصص لها، وشروط دفع النفقات من مال يدفع آخر العام، أو مواد غذائية من دقيق وزيت تدفع شهريًّا، ومن العادات المتأصلة أن تقدم الهدايا للمعلم في عيدي الأضحى والفطر، وأخرى أجل وأكبر حين يختم الطفل القرآن(2).

يتردد على بيوت القادرين، غالبًا، أكثر من معلم لتربية أطفالهم، وأحيانًا يقع الاتفاق على إكمال العمل، يقوم المعلم بتعليم الصبي، مقابل أجر معلوم لمادة معينة أو مواد متعددة، وفي هذه الحالة يلزم ولي الأمر أن يقدم تقريراً وافياً عن عقلية الصبي وقدراته الذهنية، ورغم أن التعليم يعد أهلي كانت المدارس المجانية كثيرة، ينفق عليها من ريع الحوانيت والعقارات والأراضي التي أوقفها الحكم الثاني، وآخرون غيره وأسهم الشعب بدوره عن طريق جمع الهبات ودعم المدارس، بعيدًا عن رقابة الدولة وتدخلها في النظم أو المناهج، ما دامت لا تستهدف نشر أفكار ضارة بأمن المجتمع وهدوئه، وقد تحقق في قرطبة المثل الأعلى، وهو أن يكون التعليم الابتدائي مجاناً لأن العاجزين لم يكونوا يحرمون منه لعجزهم، وإجبارياً بضغط من المجتمع نفسه، دون حاجة إلى أمر يصدر أو قانون يشرع؛ لأن التجار أصحاب الحرف والمصانع يرفضون أن يقبلوا في حوانيتهم عمالًا لا يعرفون القراءة والكتابة، حتى ولو كانت مهنهم لا تحتاج إليها،

---

(1) هو الذي يقوم بالعمل الخيري تطوعا بغير مقابل. ولا يريد إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى. والحسبة هي وظيفة وأحياناً يطلق عليها الحسبة. كانت تقوم بتطوّع من الذين يودّون تطبيق القاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودون مقابل. أي انهم يقومون بها احتساباً لوجه الله، ومنها (محتسب)، أو تطوعاً لوجه الله ومنها (المطوع).

(2) الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، ط 4، دار المعارف 1993، ص 45، وسيشار إليه (الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا بلغ الطفل سن الحلم انتقل إلى مصنع أو متجر ليعمل، أو يواصل تعليمه إذا سمحت له ظروفه بذلك، وفيها يحضر الطالب المواد التي تعجبه، على الأستاذ الذي يطمئن إليه، ويقرأ في الكتاب الذي يراه نافعاً ومفيداً ويتعمق في درسه بالقدر الذي يسمح له به ذكاؤه ورغبته وإمكاناته، ومن الصعوبة تحديد متى يبدأ التعليم في المرحلة الأعلى ومتى ينتهي، وليس من الممكن كذلك تحديد المادة أو المواد، التي يبدأ طلاب التعليم بدراستها: القرآن، أو الرياضيات، أو الطب، أو اللغة أو الأدب؛ فقد كان الطلاب أحيانًا يجمعون بين أكثر من مادة في الوقت نفسه، ولكن يمكن القول إن الطلاب كانوا يبدأون دراسة النحو والتعمق فيه ؛ ليعينهم على فهم بقية المواد الأخرى، وتليه دراسة المواد الدينية؛ من فقه وحديث وتفسير وأصول(1).

بالإضافة إلى من ذكرنا فإنه كان هناك الطلاب المنتسبون، وهم الذين لا تمكنهم الظروف من حضور الدروس فيعتمدون على الكَّتاب، ويعتمد الطلاب في هذه الطريقة التعليمية على الذاكرة فكان فيهم من يحفظ آلاف القصائد، ومنهم من يحفظ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كاملًا، وكان في الأندلس من يحفظ القرآن دون حاجة إلى أن يكون عالمًا أو متخصصًا(2).

نتائج النهضة التعليمية في بلاد الأندلس:

حققت الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس نهضة علمية وتعليمية بحيث صارت بلاد الأندلس قبلة لطلاب العلم في أنحاء العالم وخاصة العالم الأوروبي، وذلك بما قامت به الدولة في سبيل نشر التعليم بصورة كثيفة في كافة مجالاته الدينية والعلمية في محاولة لاستقطاب أكبر قدر ممكن من العلوم الحديثة وطلاب العلم تمهيداً لبناء دولة قوية قادرة على حماية مكتسباتها ومقدراتها، فكانت بلاد الأندلس هي قاعدة العلم في العالم في ذلك الوقت لاحتوائها على أعظم العلماء والنوابغ في العديد من العلوم والدراسات، كما كانت حركة الترجمة قد وصلت لأوجها مما حقق عائد أخر في التعرف على العلوم الأخرى ومحاولة الزيادة عليها بالتجارب والدراسات، ومن أهم تلك النتائج ما يلي:

(1) الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، مرجع سابق، ص 51.

(2) الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، مرجع سابق، ص 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قيام ملوك أوربا باستقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران، ففي خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي وما بعده وّقعت حكومات هولندا وسكسونيا وانكلترا على عقود مع حوالي تسعين من الأساتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الاسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية(1).

تم إرسال البعثات ذات الطابع الرسمي إلى بلاد الأندلس من قبل حكومات بعض الدول الأوربية، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى، حتى بلغت سنة 312هـ / 924م، في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة، وكانت إحدى هذه البعثات من ألمانيا، ففي سنة 313هـ /925م، أرسل ملك ألمانيا اوتو الكبير(2)، الراهب (جون) إلى قرطبة مبعوثاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وأثناء مكوثه فيها لمدة ثلاث سنوات تعلم العلوم والثقافة العربية، وحمل معه المخطوطات العلمية العربية(3).

كان المستعربون يمثلون عنصراً فعالاً في نقل الحضارة الإسلامية إلى اسبانيا، فالعصور الوسطى الاسبانية لم تكن تعرف الانفصال الجغرافي ولا العنصري بين المسلمين والنصارى حيث كانوا متعايشين سوية بروح التسامح، والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا، وهم منذ الفتح العربي الإسلامي لم ينقطعوا عن الهجرة إلى المناطق الشمالية في اسبانيا(4).

---

(1) خليل إبراهيم السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1986، ص 387.

(2) أوتو الأول (23 نوفمبر 912 - 7 مايو 973) ابن هاينريش الأول وماتيلده رينغلهايم، دوق ساكسونيا وملك ألمانيا وملك إيطاليا، و "أول الألماني يسمى إمبراطور إيطاليا".

(3) محمود الحاج قاسم، انتقال الطب العربي إلى الغرب، ط2، دمشق، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص 27.

(4) لطفي عبد البديع، الإسلام في اسبانيا، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،1961، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سعت العديد من الدول الأوربية إلى توطيد العلاقات مع الدول العربية الإسلامية في الأندلس لاسيما في عصر الخلافة الأموية، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اجتمعت في شخصه مواهب عدة أهلته لان يكون حاكماً ناجحاً، فهو سياسي مرن وقائد شجاع وإداري صلب، تمكن من خلق نظام قوي ومتين داخل الأندلس، وتحقيق سمعة سياسية في الخارج، أهلته لان يكون موضع إعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة له والتي سعت إلى صداقته وإقامة علاقات ودية معه(1).

دخول المؤلفات المهمة إلى الأندلس ككتاب الحشائش في الطب والصيدلة لديسقوريدس وكتاب هروشيش في التاريخ(2).

وخلص الفصل إلى أنه كان لدخول المسلمين لبلاد المغرب والأندلس سبباً في حدوث تمازج بين حضارتين وثقافتين مختلفتين، مما عمل على إثراء الحضارة الإسلامية، وخاصة في المجالات الفكرية والعلمية والفقهية، فبرز العديد من المفكرين والعلماء والفقهاء الذين قامت على كواهلهم نهضة علمية تربوية عظيمة تم تصدير علومها لكافة أقطار الدول الإسلامية شكلت بعدها مرجعاً هاماً في الفكر الغربي ومثلت نقطة تواصل بين الثقافتين العربية والأوروبية، حيث كانت بلاد المغرب وبلاد الأندلس منارة العلم التي يقصدها الطلاب، وقد سلك الخلفاء الأمويين طريقة فعالة لنشر التعليم في المغرب والأندلس، حيث صبوا جل اهتمامهم بالتعليم والمعلمين ودور العلم،

(1) إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ط3، بيروت، دار الأمل للنشر والتوزيع،1978، ص307.

(2) السامرائي وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، بنغازي، دار المدار الإسلامي،2004، ص158

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذلك إيماناً منهم بأهمية العلم في نهضة الأمم والمجتمع، وشهدت بلاد المغرب والأندلس نهضة علمية حقيقية، حيث استقطبت العديد من العلماء المسلمين من الحجاز والشام بالإضافة إلى العلماء من الأندلس الذين تلقوا العلم على يد شيوخهم في الحجاز، مما نتج عنه قبول بعثات أوروبية لتلقي تعليمهم في بلاد الأندلس نظراً للجودة التي تميز بها التعليم في بلاد الأندلس،

ومما هو جدير بالذكر أن المجتمع الأندلسي في العهد الأموي كان مجتمع يغلب عليه الصلاح وحب وشغف للعلم، فكان مجتمعاً حريصاً على التدين وطاعة الله سبحانه وتعالى وفي سبيل ذلك كانت المساجد منارات تعليمية لأهل الأندلس وكافة المسلمين، حتى أنها ضمت بين جدرانها النصارى واليهود كطلاب علم، وذلك نتيجة الدور البارز للعلماء في نشر العلم والقيام بتقديم النصيحة الصادقة للأمراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني
جامع قرطبة في الأندلس
(فكرة البناء - هندسة الجامع - مراحل بناءه)

م	الموضوع
	أثر المسجد الجامع بقرطبة في هندسة المساجد في المغرب والأندلس
	مكان بناء المسجد الجامع بقرطبة
	الشكل المعماري للمسجد
	تصميم المسجد الجامع بقرطبة
	بناء المسجد الجامع بقرطبة
	فكرة بناء المسجد الجامع
	تقسيمات المسجد الجامع في قرطبة
	مراحل تطور المسجد الجامع بقرطبة في عصر خلفاء بني أمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

جامع قرطبة في الأندلس

(فكرة البناء - هندسة الجامع - مراحل بناءه)

تعد الحقبة التي حكم فيها المسلمين بلاد المغرب وبلاد الأندلس خلال الفترة (23هـ- 132هـ)، من أعظم فترات التاريخ لتلك البلاد، حيث ساهم المسلمون في التطور الحضاري الذي لا تزال شواهده ماثلة حتى الآن.

ذلك بأنه منذ الفتح الإسلامي للأندلس شمل المسلمين رجال الفن والصناعة من أهل الأندلس برعايتهم وأسبغوا عليهم فيضاً من حمايتهم واصطنعوهم لخدمتهم، كذلك قاموا بتشجيعهم على متابعة إنتاجهم الفني والصناعي في ظل عهدهم الجديد على البلاد، فكان ذلك بمثابة ضمانة لهم على استمرارية أعمالهم في مناخ يسوده المحبة والإخاء، ولهذا، فقد واصل أرباب الحرف تقاليدهم الفنية بعد أن كيفوها وفقاً لما تقتضيه الأوضاع الجديدة.

فلم يلبث أن اندمج هؤلاء الصناع وأرباب الحرف في المجتمع الإسلامي، فأقبلوا على الثقافة الإسلامية وشاركوا بنصيب وافر في الحياة الاجتماعية، وبذلك تحققت النقلة في عصر الخلافة الأموية في بلاد الأندلس وأدى ذلك إلى صياغة فن أندلسي إسلامي أخذ يتدرج في التطور في العصور التالية.

ونتيجة توافد المسلمين على الأراضي الجديدة للدولة الإسلامية فقد كانوا محملين بثقافات مجتمعاتهم، وبالتالي نقلوا الكثير من تلك الثقافات إلى تلك البلاد، ومن أهم أشكال تلك الثقافات طرق البناء للمساكن والمساجد، وتعبيد الطرق للقوافل والمارة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فظهرت طريقة البناء المعتاد في الشرق كالمسكن المنفتح على الفِناء الداخلي المزين بالحدائق والسطوح المائية، بالإضافة إلى عمران بيوت الله وبناء المساجد في كل المدن والحواضر التي يتم فتحها لتعليم الناس آداب دينهم ولإقامة العبادات بداخلها، بجانب تطوير مجالات الحياة الدنيوية من الزراعة وري الأراضي حتى عم الرخاء المدن والريف، وقد نظمت المدن التي أقاموا فيها وفق الأسلوب المشرقي بشوارع ضيقة ذات محاور متكسرة درءاً للشمس، ومن أهم تلك المعالم التي تركها المسلمون خلفهم في مدينة قرطبة ببلاد الأندلس العديد من المساجد والجوامع التي تعد بمثابة تحف معمارية تشهد بعظمة تلك الحضارة.

فالمسجد الجامع بقرطبة بكل ما يحمله من روعة في البناء وطريقته الهندسية يعد من التحف المعمارية التي ينظر إليها المسلمون والنصارى على حد سواء أنه أحد المعالم الإسلامية في أوروبا التي كان لها دوراً في التنوير والتثقيف والتقدم العلمي الذي نشأ في أوروبا، فعنه أُخِذ العلم من العلماء والفقهاء المسلمين إلى سائر الدول الأوروبية في وقت كانت الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها، فهو كما يذكر المؤرخون في تاريخ الحضارة الإسلامية و مؤرخي العمارة الأوروبية قمة من قمم الفن المعماري العـالمي على مر العصور، ودلـيل قاطع على براعة الأمويين في فن الهندسة والمعمار، وقال عنه الحميري: "إنه الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة، وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميماً إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً"(1).

(1) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ)، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة، مطبعة بولاق، د.ت، ص153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونتيجة لكل ما سبق فقد أصبح المسجد الجامع بقرطبة الذي وصِف بأنه أروع أمثلة العمارة الإسلامية في العصر الوسيط بمثابة جامعة إسلامية تدرس فيه كافة العلوم الشرعية والعلمية التطبيقية، ووفد إليه الطلاب من مختلف الأقطار، وصار أحد المآثر التي تميزت بها قرطبة وكان مصدر فخرها، وظل هذا المسجد تهفو إليه قلوب المسلمين من كل مكان، وظل جامعة إسلامية كبيرة يقصدها طلاب العلم والعلماء حتى أجرى عليه ملوك الإسبان وحكامهم تغييرات كثيرة شوهته، ولكنه حتى اليوم يظل يحمل طابع الفن الإسلامي الأندلسي(1).

وفي هذا الفصل من الدراسة سوف نقوم باستعراض الطريقة الهندسية لبناء المسجد الجامع بقرطبة، كذلك سوف نستعرض مراحل التوسعة فيه من خليفة لآخر.

أثر المسجد الجامع بقرطبة في هندسة المساجد في المغرب والأندلس:

يعد النظام التخطيطي للمسجد الجامع بقرطبة وفقاً لمؤرخي الفن الأندلسي هو الأساس الذي انبثق منه بنيان المساجد الجامعة في المغرب والأندلس على مر العصور التالية للدولة الإسلامية بها، فهو بمثابة النواة التي استنبط منها الفن الأندلسي في عصر الخلافة ومن بعدها عصر الطوائف ودولتي المرابطين والموحدين،فجامع قرطبة يمثل المنبع الرئيسي الذي ارتوت منه فون الإسلام في المغرب والأندلس في العصور المختلفة، فقام المرابطين بتقليده في مسجدهم الجامع بتلمسان(2).

(1) خاشع المعاضيدي، تاريخ الدولة العربية في الأندلس، دمشق، دار الفجر للطباع والنشر والتوزيع، د.ت، ص 235.

(2) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير،ج2 الإسكندرية، ب.ط، 1966، ص 751.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل استمدت بعض الكنائس المستعربة في إسبانيا المسيحية وبعض الكنائس ذات الطابع الرومانسي في قتشالة(1) ونافاراة(2) وأرجون(3)، واتخذت التشبيكات الناتجة عن تقاطع العقود المنفوخة والمفصصة وما أوصل بينها من النحور المستديرة والناتئة بقواعد القباب الأربعة في قرطبة نموذج لزخارف واجهات القاعات المطلة على الأفنية في القصور الأموية في مدينة الزهراء وفي بعض قصور الطوائف والموحدين، ولذلك أصبحت الفن المعماري في قرطبة يمثل مدرسة فنية بلغت تأثيرات دروسها إلى مجالات عديدة، فأدركت جنوبي فرنسا ووصلت إلى بلاد المغرب وكذلك إلى مصر(4).

(1) إحدى أجزاء مملكة ليون في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإسبانية، كانت واحدة من ممالك القرون الوسطى من شبه جزيرة أيبيريا. برزت ككيان سياسي مستقل في القرن التاسع الميلادي، وكانت تسمى مقاطعة كاستيا (قشتالة) من مملكة ليون.اسمها يفترض أن تكون لها صلة المضيف من القلاع التي شيدت في المنطقة. انها واحدة من أجداد مملكتي تاج كاستيا castile ومملكة إسبانيا.

(2) منطقة تقع في شمال إسبانيا، من سبعة عشر مناطق حكم ذاتي في إسبانيا، عاصمتها هي مدينة بنبلونة، تنفرد المنطقة بمقاطعة واحدة وهي نافارا.

(3) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، بيروت، دار النهضة، 1961، ص 402 . (وسيشار إليه لاحقاً: سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس).

(4) السيد عبد العزيز سالم، أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية بإسبانيا وفرنسا، القاهرة، مجلة المجلة، عدد14، 1958، ص 74.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف جوستاف لوبون(1) في كتابه حضارة العرب المسجد الجامع بقرطبة بقوله: "كان جامع قرطبة يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته، فترى ارتفاع مأذنته أربعين ذراعاً، وترى قبته الهيفاء تقوم على روافد من الخشب المحفور وتستند على 1903 من الأعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج، فيتألف منها تسع عشر صحناً واسعاً طولاً وثمانية وثلاثون صحناً ضيقاً عرضاً، وترى في وجهه الجنوبي المقابل للوادي الكبير تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلا الباب المتوسط الذي كان مصفحاً بألواح من الذهب، وترى كل من وجهه الشرقي الجانبي ووجهه الغربي الجانبي تسعة أبواب مشابهة لتلك الأبواب"(2).

مكان بناء المسجد الجامع بقرطبة:

تشير بعض الدراسات إلى أن المسجد الجامع الذي أقامه المسلمون بعد الفتح مباشرة كان في ما يبدو بسيطًا في بنائه ولعله أقيم من اللبن لسهولة استخدامه، أما مكانه فكان يقع على الجانب الأيمن من نهر "الوادي الكبير"(3) قبالة القنطرة وبمحاذاة الطريق الروماني المبلط القديم الذي دعاه العرب بطريق المحجة الكبرى أو السكة العظمى.

(1) غوستاف لوبون (7 مايو 1841 - 13 ديسمبر 1931) طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

(2) جوستاف، لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة / عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتاب، 1948، ص 352.

(3) الوادي الكبير أو النهر الكبير (بالإسبانية: Guadalquivir) هو نهر إسباني يجري في منطقة الأندلس ويصب في المحيط الأطلسي غربي مضيق جبل طارق، أطلق الفينيقيون عليه اسم بايتس وبعدهم الرومانيون سموه بيتيس Baetis، وأطلق المسلمون عليه تسميته الحالية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذكر ابن بشكوال(1) في رواية استشهد بها للدلالة على بقعة جامع قرطبة فقال أن: "موضع الجامع الأعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها أهل قرطبة قمامتهم وغيرها، فلما قدم سليمان بن داوود، عليهما السلام، ودخل قرطبة، قال للجن: اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه، فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه، ففعلوا ما أمرهم به نبي الله وبني فيه بعد ذلك الجامع المذكور"(2).

كما ذكر بأنه: "من عظمة بناء المسجد الجامع بقرطبة وطريقة تشييده وبناءه، فقد شاع وذاع على ألسنة الجمع الغفير من الناس في هذه البلاد الشرقية وغيرها، أن في جامع قرطبة نحو ثلاثمائة و ستين طاقاً على عدد أيام السنة، وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق إلى أن يتم الدور ثم تعود"(3).

وتبلغ مساحة المسجد (24300) متر مربع وكان قديمًا يُسمى بجامع الحضرة أي جامع الخليفة، أما اليوم فيُسمى بمسجد الكاتدرائية بعد أن حوله الإسبان إلى كاتدرائية مسيحية(4).

الشكل المعماري للمسجد:

طبق عرفاء البناء بجامع قرطبة النظام التخطيطي للجامع الأقصى الذي أعاد الوليد بن عبد الملك بناءه في سنة 87هـ وكان يتألف من عشرة أروقة تتجه عقودها عمودياً على جدار القبلة(5).

---

(1) القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي قاضي ومؤرخ أندلسي ولد في 1101م وتوفي في 1183م/ 578 هـ. عاش في قرطبة وتوفى فيها. له أكثر من خمسين مؤلفاً من أشهرها كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم لأعيان الأندلس مرتباً أسمائهم ترتيباً أبجدياً.

(2) المقري، أحمد بن محمد (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، القاهرة، 1949م، ص 99.

(3) المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب، ج2، المصدر السابق، ص 60.

(4) أحمد فكري، أحمد، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، الإسكندرية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1961، ص198، وسيشار إليه لاحقاً (فكري أحمد، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها).

(5) أحمد فكري، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، مرجع سابق، ص 213.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الشكل الأصلي لمسجد عبد الرحمن في عام 170هـ/786م يتألف من قاعة يطلق عليها اسم (الحرم) ويبلغ عرضه 73.5 متر، وعمقه 36.8متر، مقسم إلى 11 رواقاً بواسطة 10 صفوف من الأقواس، يضم كل منها 12 قوس ترتكز على أعمدة رخامية، وتمتد عمودياً على الجدار الخلفي، وهذه الصفوف تتألف من طبقتين من الأقواس السفلية منها على شكل حدوة الفرس، والعلوية تنقص قليلاً عن نصف دائرة، وهي تحمل سقفاً منبسطاً يرتفع مقدار 9.8 متر عن الأرضية، وفوقهم 11 سقفاً جمالونياً متوازياً، بينها أقنية عميقة مبطنة بالرصاص، والحرم ينفتح على الصحن بواسطة 11 قوس حدوي، كما يتميز صحن المسجد بالأشجار التي أمر عبدالله بن صعصعة بن سلام(1) صاحب الصلاة بغرسها في الصحن عام192هـ، ترتكز على عضائد على شكل حرف الـ T، والصحن عرضه 73.21 متر وعمقه 60.7متر، ويوجد له باب غربي، وباب شمالي على المحور الشمالي الجنوبي، كما له على الأرجح باب شرقي متوافق مع الأول، وكان للحرم باب واحد يعرف اليوم باسم - بوير تادي سان استبيان -، وللحرم أيضاً 3 دعائم للشرق وللغرب تبرز 1.5 متر، ودعامتان ركنيتان، وعلى الأرجح 10 في الجانب الجنوبي لتتحمل ضغط صفوف الأقواس، وسمك الجدران قدره 1.14 متر، والصحن لم يكن محاطاً بأروقة، كما تتميز الزيادة الحكمية بجامع قرطبة دون غيرها من الزيادات التي استوسع بها الجامع باشتمالها على أربع قباب توزعت على البلاط من زيادة الحكم وعلى الأسلوب الموازي لجدران القبلة(2).

والكتابات التي تزين واجهة المحراب يصعب فهمها، ومما كتب الآية السادسة من سوره السجدة: ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، و مما كتب أيضا: موقف الإمام المستنصر بالله عبد الله بن الحكم، كما كتبت من سوره الحشر هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون،

(1) ابن عبد الله، أبو عبد الله الدمشقي، ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنها في زمن عبد الملك بن معاوية وابنه هشام، وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى بلاد الأندلس، وولي الصلاة بقرطبة، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه، وقد روى عن: مالك، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز.

(2) الأدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- وصف المساجد الجامع بقرطبة، تحقيق / ديسيه لامار، الجزائر، مكتبة الثقافة الإسلامية، 1949، ص 22، وسيشار إليه لاحقا (الأدريسي، نزهة المشتاق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أعمال عبد الله بن الحكم في جامع قرطبة مد قنوات المياه إلى السقايات، والميضاءات (جمع ميضاءة – دورة المياه) التي أحدثها، وقد أوصل الماء إلى المسجد عبر قناة مدها من سفح جبل العروس قرب قرطبة، كما أنشا عبد الله بن الحكم عدداً من المقاصير منها مقصورة - دار الصدفة - غربي الجامع، وقد جعلها مركزاً لتوزيع الصدقات، ومقصورة أخرى أمام الباب الغربي كان الفقراء يتخذونها مسكناً لهم(1).

تصميم المسجد الجامع بقرطبة:

شهد داخل هذا المبنى ابتكاراً كبيراً تجسد في اعتماد نظام من العقود المتراكبة في القناطر التي كانت تحدد الصحون عقد كامل على المستوى المنخفض ونصف دائري في الجزء العلوي، وربما كان هذا النموذج مأخوذاً عن قناطر المياه الرومانية مثل تلك المستخدمة في مريدا، إن هذه التقنية تجعل من العقد العلوي عقد عاتق يرتكز عليه سطح المبنى. من جهة أخرى، إن تقنية وضع العقود الواحد فوق الآخر تؤدي إلى تصميم قاعة مرتفعة وشاسعة للصلاة في حين أنها تسلط الضوء على أعمدة المستوى المنخفض. إضافة إلى أبواب مختلفة في الساحة كان يستخدمها المصلون، يمكن الدخول إلى المبنى عبر مدخل أقيم في الحائط الغربي، وكان يسمى باب الوزراء والذي عرف أيضاً تحت اسم باب سان إسطفان المخصص للحاكم ولحاشيته(2).

تمثل التوسيع الأول للمسجد بتمديد الصحون الأحد عشر نحو الجنوب، مما أدى إلى تدمير حائط القبلة الذي تشير إلى مكانه الأول عدة أعمدة أكثر سماكة تتلاءم مع الدعائم الخارجية التي يمكن رؤيتها من داخل المسجد، ولكن تم الاحتفاظ بنظام العقود المتراكبة.

(1) البطاط، أحمد رسمي، قرطبة في العصر الإسلامي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2013، ص 58 – 59.

(2) سعيد حسانين الإبراشي، مسجد قرطبة، دار النهضة للنشر، القاهرة، 1984، ص 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد أن قام عبد الرحمن الثالث بتأسيس الخلافة عام 929م، أصبحت قرطبة عاصمة لدولة قوية، فاستؤنفت أعمال الترميم بهدف جعل المسجد مبنى يتناسب مع مكانة الخليفة، فتم تزويده بمئذنة كبيرة كما تمت إعادة تشكيل الواجهة المطلة على الفناء(1).

بناء المسجد الجامع بقرطبة:

عند فتح المسلمين بقيادة مغيث الرومي(2) لمدينة قرطبة، كانت المدينة تضم كنسية كبرى تسمى فينسنت التي تعد أبرشية للروم الكاثوليك في أوروبا في ذلك الوقت وكانت تقع بالقرب من السور الجنوبي للمدينة، فاختار المسلمون هذه البقعة والمكان لبناء مسجدهم الجامع، فتم مشاطرة المسجد للكنيسة، وتم إقامة مسجد صغير بطريقة بدائية لإقامة شعائر الصلاة فيه، وكانت النظرة السائدة بأن تلك البقعة كافية حيث كان عدد المسلمين قليلاً فكانوا يتكونون من محاربين فقط وليسوا من المتخصصين في عمليات البناء، ومع تزايد عدد المسلمين في الأندلس بصفة عامة ومدينة قرطبة بصفة خاصة، بدأ التفكير في توسعة المسجد ليسع المصلين ومتلقي العلم به(3).

ونظراً لأن الوجهة الجنوبية من المسجد كانت تنحدر تجاه النهر فكان التوسعة لزاماً أن تكون بالشق الشمالي منه فعمد المسلمين إلى صنع سقائف لحماية المسلمين من الشمس، وإن كانت منخفضة بطريقة تؤذي المصلين، فعند دخول عبد الرحمن بن معاوية مؤسسة الدولة الأموية في بلاد الأندلس ظهرت تلك المشكلة بصورة واضحة جلية،

(1) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، مرجع سابق، ص 146.

(2) أبو حفص عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الرومي (ت 209 هـ)، مولى عبد الملك بن مروان، فلما تُوفي وأصبح ابنه الوليد خلفاً له، أصبح مولى الوليد بن عبد الملك، نشأ وترعرع وشبَّ في أحضان البيت المالك: بيت الخليفة عبد الملك بن مروان، وتعلَّم جنباً إلى جنب الوليد بن عبد الملك، فأصبح أحد أفراد العائلة المالكة وجزء منهم لا يتجزأ، دخل الأندلس مع طارق بن زياد رحمه الله، وكان الوليد بن عبد الملك هو الذي وجَّهه إلى الأندلس غازياً.

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس – من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، بيروت، دار النهضة العربية للنشر، 1962، ص 382.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعزم على حل المشكلة التي يعاني منها المسلمون في صلاتهم،وقام بضم أرض الكنيسة إلى المسجد المقام فعلياً على الأرض، وقرر بناء مسجد جامع يتناسب مع عظمة الدولة التي أقامها في بلاد الأندلس، فقام إثر ذلك باستدعاء رؤساء النصارى في الأندلس لمقابلته وقام بعملية تفاوض ومساومة لبيع حصتهم من الأرض المقام عليها الكنيسة لضمها إلى أرض المسجد حتى يتسنى له بناء المسجد الجامع الذي كان ينوي بناؤه(1).

وعمد إلى بذل العطاء لهم بصورة كبيرة حتى يبيعوه الأرض ولكنهم في بادئ الأمر رفضوا ذلك العرض، وفي مقابل ذلك قرروا مساومته أيضاً فطلبوا منه بناء كنيسة لهم (شنت أجلح) خارج أسور المدينة التي تم تخريبها بعد الفتح الإسلامي للأندلس فوافق الأمير عبد الرحمن بن معاوية على ذلك الطلب وكان ذلك في عام 168هـ(2).

فشرع الأمير عبد الرحمن بن معاوية في هدم الكنيسة تمهيداً لبناء المسجد الجامع، وكانت بداية بناء المسجد الجامع في قرطبة في بدايات عام 169هـ وكان البناء بأسلوب جديد في البناء لم يعهده المسلمون في بناء مساجدهم من قبل، وفي عام 170هـ تم الانتهاء من بناء المسجد بصورة نهائية، ويذكر المؤرخون أن عبد الرحمن بن معاوية صرف في بناء المسجد الجامع بقرطبة ما يعادل ثمانين ألف دينار(3).

فكرة بناء المسجد الجامع:

قامت فكرة بناء المسجد الجامع بقرطبة على أن يتسع لأعداد كبيرة من المصلين والمرتادين، فكان المسجد الجامع يقوم على أكثر من ألف عمود و كان يتسع يومياً لأربعين ألف مصلي، وذلك في الوقت الذي كان فيه تعداد سكان مدينة قرطبة نصف مليون نسمة،

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص 383.

(2) دون خواكين دي جنثالت، فتح الأندلس، مقالة منشورة، الجزائر، 1989، ص 9.

(3) المراكشي، ابن عذاري أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، بيروت، 1950، ص 292. وسيشار إليه لاحقاً (المراكشي، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتذكر المصادر إن المسجد هو الوحيد في العمارة الإسلامية الذي لا يتجه محرابه نحو القبلة في مكة، ولذلك تفسيرات متعددة غير محسومة، أولها أن خلفاء بني أمية فروا من تنكيل العباسيين بهم في مكة وأرادوا القطيعة بين مرجعية مكة التي يعتمدها العباسيون، والثاني أنهم جاءوا من دمشق التي ظلت في خيالهم فأرادوا بناء لا يقل عظمة ومثالا عن المسجد الأموي بصبغته الرومانية، أما الثالث وهو الأرجح فهو أن معبدا رومانيا كان يقوم مقام المسجد الذي وضع على نفس القواعد القديمة دون تغيير فأخذ نفس اتجاهاته(1).

تقسيمات المسجد الجامع في قرطبة:

ينقسم البناء الهندسي لجامع قرطبة إلى قسمين حيث القسم المسقوف وهو مخصص للصلاة، وقسم مكشوف وهو ما يطلق عليه صحن المسجد أو الفناء(2)، وكان مكان بيت الصلاة ممتد اثنى عشر قوساً، وكان القوس يتخذ كمقياس لقياس المساحة، وكان بيت الصلاة يقوم على أعمدة من رخام تم اتخاذها من الكنائس التي تم تخريبها وكان اتساع البلاط الواحد المستخدم في الأرضية 6,86 متر، أما سقف المسجد فكان يتألف من لوحات خشبية مسطحة مصفوفة، ومثبتة على عوارض خشبية طولية وعرضية(3).

وهذه اللوحات تكتسى بعواض وزخارف هندسية ملونة ومنقوشة من دوائر وفصوص ومسدسات ومثمنات، ويقول الإدريسي في ذلك: "وسقفه كله سماوات مسمرة في جوائز سقفه، والسماوات مسطحة فيها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسدسة والمؤربي، وهي صنع الفص وصنع الدوائر، والمداهن، لا يشبه بعضها بعضاً بل كل سماء منها مكتف

(1) المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، المرجع نفسه، ج1، ص 342.

(2) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة، 1937، ص 153.

(3) المصطلحات العربية للعمارة المغربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة الزنجفرية والبياض، الإسفيداجي والزرقة اللازوردية، والزرقون الباروقي، والخضرة الزنجارية والتكحيل النقسي، تروق العيون وتستميل النفوس بإتقان ترسيمها ومخلفات ألوانها وتقسيمها"(1).

والسقف المسطح يعلوه هياكل مسنمة هرمية الشكل تمتد على امتداد البلاطات، ويحيط بالأسقف من الداخل إزار خشبي منقوش بالآيات القرآنية الكريمة، وقد تم العثور على بعض اللوحات الخشبية الأصلية التي فقدت بين الهياكل الهرمية وتم تجميعها وإعادتها إلى موضعها الأصلي في البناء.

كما تم العقد بين الأعمدة الرخامية من أعلى رؤوسها يعقود بشكل حدوة الفرس، تقوم مقام الأوتار الخشبية وظيفتها ربط الأعمدة فيما بينها، وأقيمت فوقها عقود نصف دائرية تحمل الجدران التي تتكئ عليها الأسقف، وتزيد في الوقت نفسه من ارتفاع السقف، بالإضافة إلى أن تلك العقد تستند إلى كوابيل ملفوفة مؤلفة من ثلاثة أو أربعة فصوص متراكبة الواحد فوق الآخر، ويتناوب في جميع العقود العليا والسفلى اللونان الأصفر الشاحب والأحمر، نتيجة لتناوب الحجارة وترتيبها بحيث يتألف من هذا التعاقب سنجة حجرية وثلاثة صفوف متلاحمة من الآجر الأحمر تؤلف سنجة أخرى، والعمود يتكون من رأس رخامي وبدن وقاعدة من الرخام، وكان بعض هذه القواعد مدفوناً في أرضية المسجد والبعض الآخر ظاهراً فوق مستوى سطحها على نحو غير مستقيم، وجميع أعمدة المسجد الذي أقامه عبد الرحمن الداخل القديمة قوطية أو رومانية استغلها بناة المسجد من الكنائس المخربة

(1) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد المتوفي في 559هـ، نزهة المشتاق- وصف المسجد الجامع بقرطبة، الجزائر، 1949، ص 4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأعادوا استخدامها في المسجد الجامع، ويتوج الجدران الخارجية للمسجد إفريز من الشرفات المثلثة المسننة، أما الجدران فتستند على ركائز قوية وظيفتها إكساب المسجد صفة القلاع، وذلك لحمايته إذ أن صفوف العقود ترتكز مباشرة على جدار القبلة، وبذلك فإن المسجد الجامع بالطريقة الهندسية التي بني عليها كان له تأثير جمالي في العمارة الإسلامية وأصبح مميزاً فيما بينها(1).

أما صحن المسجد فكان مغروساً بالأشجار، فقد عهد عبد الرحمن الداخل إلى عبد الله بن صعصعة(2) بغرس صحن المسجد بالأشجار، وقد اتبع أمراء الأندلس هذا التقليد فأصبحت الصحون في المساجد عامرة بالأشجار، وفي عام 173هـ توفي عبد الرحمن الداخل ولم يكن أتم بناؤه للمسجد بالصورة الجديدة، وجدير بالذكر أن المسجد في ذلك الوقت لم يكن به مئذنة ولم تكن به سقائف لصلاة النساء، فأتمه هشام ابنه وأقام مئذنة بلغ ارتفاعها إلى موضع الأذان نحو 20 متر، كما أقام بنهاية المسجد سقائف لصلاة النساء وأمر ببناء ميضاءة بشرقي الجامع(3)، وقد تصدعت تلك المئذنة في عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد وأقام صومعة أخرى جليلة بدلاً عنها، وقد تمكن المهندسون في العصر الحديث من الاهتداء إلى مكانها وكان طول قاعدتها ستة أمتار(4).

---

(1) السيد عبد العزيز،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس – من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، مرجع سابق، ص 385 – 386

(2) بنو عامر بن صعصعة مجموعة كبيرة من القبائل العدنانية من قبيلة هوازن القيسية المضرية على الرغم من أنها شكلت بحد ذاتها مجموعة مستقلة عن هوازن. ومنازل بني عامر الأصلية مناطق الرماح ورنية والخرمة وبيشة على حدود نجد الجنوبية مع الحجاز وانتشرت فروعهم في نواحي نجد وإقليم البحرين والعراق وسلطنة عُمان والمغرب العربي، كما وصلت قبائل عامرية إلى الأهواز ومصر وغيرها.

(3) ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد، تاريخ افتتاح الأندلس، القاهرة، مطبعة بولاق، 1926، ص 43.

(4) المقري، احمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، القاهرة،1949، ص 317.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراحل تطور المسجد الجامع بقرطبة في عصر خلفاء بني أمية:

المسجد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وأبنائه:

عند تولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم الإمارة، كانت من أهم معالم عصره أنه رفع من قدر مدينة قرطبة وجعلها عاصمة لدولة حكمه، ففي عهده تكاثر الناس في السكنى بالمدينة وتوافدوا إليها من كل حدب حتى ضاق عليهم بيت الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، فكانت بلاطات المسجد في عهد عبد الرحمن الداخل كما ذكرنا سالفاً تسع بلاطات، فأنشأ عبد الرحمن الأوسط حفافيها من ابتدائها شرقاً وغرباً بلاطتين زائديتن عليها ممتدين معها وذلك في عام 218هـ فكمل عدد بلاطات المسجد أحد عشر بلاطاً تم توسعة المسجد بهم مما يسر الصلاة على المرتادين للمسجد، كما أقام سقيفتين ووصلهما بالسقائف الأساسية بالمسجد على 19 سارية، وفي مؤخر الصحن قام الأمير عبد الرحمن الأوسط ببناء سقيفة جوفية نظمها بالسقيفتين على حواف الصحن شرقه وغربه، وقد أشار ابن خلدون إلى زيادة هذين البلاطين الجانبيين فيقول في ذلك: "وزاد في جامع قرطبة رواقين"(1).

وفي عام 234هـ قام الأمير عبد الرحمن بن الحكم في بيت الصلاة بجامع قرطبة أول زيادة في عمق المسجد وأجريت فيه زيادة، وتعد تلك الزيادة هي أول زيادة بارزة منذ اللبنة الأولى، وكانت تلك الزيادة بين باب المدينة وبين القنطرة وحددها بأحجار ضخمة ووكل لبنائه أفضل العمالة الماهرة من المعماريين وأشرف عليهم القاضي القرطبي محمد بن زياد إمام مسجد قرطبة في ذلك الوقت، وبلغت طول زيادة عبد الرحمن الأوسط خمسون ذراعاً وعرضها مائة وخمسون ذراعاً وعدد سواريها ثمانين سارية(2).

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ج4، قسطنطينة، 1984، ص 130.

(2) المراكشي، ابن عذاري أبو عبد الله محمد، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص 343.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما قام بفتح أبواب إضافية في جانبي المسجد الشرقي والغربي تيسيراً على المصليين في دخولهم إلى المسجد، إضافة إلى البابين القديمين فأصبح للجامع أربعة أبواب اثنان منها في الجهة الغربية، واثنان في الجهة الشرقية ولم يتبق منها سوى البابين بالجدار الغربي المواجه للقصر وهما باب الوزراء وباب الأمير، والبابان الآخران تم هدمهما عندما شرع المنصور ابن أبي عامر في زيادة مساحة المسجد، وعند تولي ابنه محمد بن عبد الرحمن أقام 250هـ/864م مقصورة خشبية حول المحراب وجعل لها ثلاثة أبواب، فلما كمل ما أمر به دخل المسجد وصلى بالمسجد(1).

وجدير بالذكر أن باب الوزراء لا تزال على جدرانه كتابة كوفية تسجل أعمال الأمير محمد بن عبد الرحمن نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم. أمر الأمير، أكرمه الله محمد ابن عبد الرحمن ببنيان ما حكم به من هذا المسجد وإتقانه، رجاء ثواب الله عليه وذخره به، فتم ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائتين على بركة الله وعونه، مسرور ونصر فتياه"(2).

وفي زمن الأمير المنذر بن محمد(3) (229 هـ/844م - 275هـ/888م) زاد البيت الذي عرف ببيت المال فأقامه في صحن المسجد على غرار بيوت المال في مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط والجامع الأموي في دمشق، وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد سباطان معقوداً أوصل به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب، ثم أمر بستارة من أخر هذان السباطان إلى أن أوصلها بالمحراب، وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه للصلاة وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية في الأندلس، وتابعه في ذلك من خلفه منهم(4).

---

(1) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر بيان وزيرها لسان الدين بن الخطيب، مصدر سابق، ص93.

(2) ليفي بروفنسال، النقوش الكتابية العربية في إسبانيا، باريس، 1939، ص 49. (وسيشار إليه النقوش الكتابية العربية في إسبانيا- مصدر سابق).

(3) سادس أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكم الأندلس لعامين خلفا لوالده الأمير محمد بن عبد الرحمن، وتوفي وهو يحاصر عمر بن حفصون في ببشتر.

(4) المراكشي، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص345.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسجد الجامع في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(300هـ - 350هـ):

كانت المئذنة التي أقامها الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل قد تصدعت، كما كان بيت الصلاة قد ازداد اتساعاً منذ زيادة عبد الرحمن الأوسط، وأصبح الصحن بالنسبة لبيت الصلاة ضيقاً للغاية، ولا يتناسب مع تخطيط الجامع ولا تناسب المساحة الكلية للجامع، وكان الخليفة قد شرع في تخطيط جديد للمدينة لتكون حاضرة محدثة تفاخر بها بني أمية الدول الأخرى، فشرع في بناء مئذنة جديدة تسمو على عمائر قرطبة وتكون منظورة من كافة القادمين إلى مدينة قرطبة، وفي عام 340هـ أمر ببناء المئذنة الجديدة، فجمع له المهندسين من كل مكان وأحضر لها الأحجار الضخمة في وقت قصير وشرع المهندسون في بنائها بعد أن تم هدم مئذنة هشام والعودة بها إلى قواعدها، كما قاموا بهدم السور الشمالي للمسجد وقاموا بالحفر وأتموا بناءها في ثلاثة عشر شهراً، فكانت روعة في المعمار وكان لها مطلعين بخلاف مئذنة هشام التي كان لها مطلع واحد فقط، كما كان لكل مطلع مائة وسبعون درجة يرتقي فيها الطالع وبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً حتى مكان المؤذن، أي ضعف ارتفاع المئذنة الأولى ومن مكان المؤذن إلى أعلاها عشرين ذراعاً، ثم نصب بأعلى المئذنة سفود بارز، ركبت فيه ثلاث تفاحات من الذهب والفضة، وكان طول كل جانب من جوانب مئذنة الناصر ثمانية أمتار ونصف المتر، وجدرانها مبطقة جميعها بنوع من الحجر الجيري يعرف باسم الكذان اللكي ومنقوشة من أسفلها إلى أعلاها بنقوش متنوعة وزخارف ملونة(1).

وكانت الأوجه الأربعة للمئذنة يزينها ثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة، تحيط بها عقود تشبه حدوة الفرس، قائمة على عمد من رخام ويعلو الإفريز شرفات مسننة تشبه شرفات الجامع نفسه، كما لم تتوقف عمليات الإعمار في عهد الناصر بمسجد قرطبة، إذ قام بترميم واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن وكانت قد تصدعت بسبب الدفع المستمر للعقود الداخلية، ثم قام بإصلاح باب سان استبان،

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق- وصف المسجد الجامع بقرطبة، مصدر سابق، ص 10 -11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأقام عليه مظلة، وقام بتسجيل كافة أعماله على لوحة بجوار المدخل كتب عليها :" بسم الله الرحمن الرحيم... أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله – أطال الله بقاءه – ببنيان هذا الوجه وإحكام إتقانه، تعظيماً لشعائر الله ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر، وجزيل الذخر، مع بقاء شرف الأثر وحُسن الذكر، فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة، علي يدي مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب"(1).

المسجد الجامع بقرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (427هـ - 467هـ):

عند تولية الحكم المستنصر بالله للخلافة كان عدد سكان قرطبة قد تضاعف وبالتالي زاد المصلين بالمسجد الذي ضاق بهم، فنظر الخليفة في أمر توسعة المسجد وعهد بذلك إلى حاجبه جعفر بن عبد الرحمن الصقلي الذي كان يعد في ذلك الوقت أقوى رجل في الدولة، فقام بإحضار الحجارة التي ستستخدم في البناء من جبال قرطبة و شيوخ البنائيين والمهندسين، فقاموا بتحديد التوسعة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء، وقال ابن سعيد في هذه الزيادة: "وبها كملت محاسن هذا الجامع، وصار في حد يقصر الوصف عنه"(2)، واستمر بناء الزيادة أربع سنوات أنفق فيها مائتان وواحد وستون ألف دينار وخمسمائة وسبعة وثلاثون دينار(3).

(1) ليفي، بروفنسال، النقوش الكتابية العربية في إسبانيا، مصدر سابق، ص 51.

(2) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر بيان وزيرها لسان الدين بن الخطيب، مصدر سابق، ص97.

(3) المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص 359.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسجد قرطبة بعد عصر الإمارة:

احتفظ المسجد الجامع بقرطبة بصورته طوال العصور الإسلامية، فلم يطرأ عليه أي تغيير في نظام بنائه، ولم تضف إليه أية إضافات عدا أعمال الترميم والإصلاحات اللازمة للمسجد، وظل المسجد كذلك حتى سقطت قرطبة في يدي فرناندو الثالث ملك قتشاله في عام 1236م، فتحول هذا البناء الشامخ والعلم الأثري في الحضارة الإسلامية إلى كنيسة عرف بسانتا ماريا العظمى(1).

ومما سبق يتبين بأننا يجب ألا نغفل أن نشير إلى تأثير الحضارة الإسلامية المعمارية في أوروبا والتي تجلت في أوج عظمتها في إنشاء المسجد الجامع بقرطبة، كما أنه يعد معلماً إسلامياً ومسيحياً في ذات الوقت، حيث أنه كما كان يطلق عليه أستاذ المساجد التي أقيمت في بلاد الأندلس في العصور التالية على إنشائه، فمنه أخذت نظام القباب ذات الضلوع ومنه اشتقت نظام البلاطات المتجهة عمودياً على جدار القبلة، ومن تخطيطه اشتقت تخطيطاتها، وقد وصلت تأثيراته على الحضارة الإسلامية في مصر ويشهد بذلك جامع ابن طولون وتشابه مئذنته وطريقة بنائها واستخدام الكوابيل المستخدمة في بناء المسجد الجامع بقرطبة، كما أن العمارة المسيحية تأثرت بالمسجد الجامع بقرطبة، فقد تغلغلت في إسبانيا المسيحية ومنها انطلقت في كافة مقاطعات فرنسا الجنوبية، حيث تتجلى وتتضح في معظم الكنائس مثل كنيسة جاسكوينا ولا نجروك ونورماندي(2).

وكما سلف الذكر فإن المسجد الجامع بقرطبة يعد من اهم تلك المشيدات العمرانية التي تعود إلى هذه الحقبة، ويسميه الإسبان "المسجد الجامع"، حيث يشغل هذا المسجد مكانة في تاريخ الفن الإسلامي تقارب ما للمسجد الأموي الكبير في دمشق، وهو كما يصفه أحد المؤرخين "اللحظة الأولى للقاء الغرب بالإسلام، وهو واحد من أعظم الروائع في العالم".

(1) بلباس توريس، التبادل الفني بين مصر وإسبانيا، لمجلة الأندلس، 1934م، ص 45.

(2) دائرة المعارف، العدد 64، التأثيرات المعمارية في الأندلس، القاهرة، 1959م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الحياة العلمية في جامع قرطبة(العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية)

م	الموضوع
	العلوم الشرعية(التفسير – الحديث – الفقه)
	علوم اللغة والنحو
	علم التاريخ
	علم الطب وتطوره في عصر بني أمية
	علوم الفلك والحساب والهندسة وعلم البصريات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الحياة العلمية في جامع قرطبة

(العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية)

بلغت العلوم الدينية والدنيوية التي كانت سائدة في ذلك الوقت من الأهمية بحيث أفردت لها الخلافة الأموية الكثير من الاهتمام لتدريسها في المسجد الجامع بقرطبة وكافة أنحاء الدولة.

فمنذ دخول المسلمين إلى بلاد المغرب والأندلس كانت هناك نهضة علمية في مختلف ميادين العلم، وذلك كونها قامت على دعائم وأسس من الاهتمام بالعلم والعلماء، وسياسات تهدف إلى تنظيم وتوفير كافة السبل للدعم والرعاية والتشجيع وتوفير وسائل التعلم والبحث والتأليف، وحتى عندما ضعفت الخلافة الأموية على إثر وفاة الخليفة المستنصر ومبايعة الخليفة هشام المؤيد بالله (366-399هـ) الذي بُويع وهو حدث صغير، فإن النشاط العلمي لم يعرف التوقف بالرغم من الانقسامات السياسية التي أدت إلي قيام دويلات ملوك الطوائف، لأن العلماء تفرقوا في مختلف حواضر الأندلس تاركين قرطبة بحثاً عن الأمان وطلباً للبيئة العلمية التي تتيح لهم حرية البحث والتأليف وتحميهم من انفعالات بعض الحكام ومن مطاردة المتغلِّبين باسم الدين والشريعة الذين يثيرون حفيظة العامة ويقفون في وجه كل تجديد.

فمنذ أن وطئت أقدام المسلمون الأوائل أرض الأندلس في بدايات القرن الثاني الهجري، عمدوا إلى إقامة دولة قوية مستقرة تمهيداً لإقامة الحضارة الإسلامية بكل ما يميزها من جوانب عقائدية وفكرية وأدبية، بالإضافة إلى العمل على النهضة العلمية التي كان منبعها أمراء بني أمية الذين اهتموا بكافة العلوم الدينية والعلمية الدنيوية على حد سواء، فقد تميزت تلك الحضارة العربية في الأندلس بالميل الشديد للاهتمام بكافة العلوم والآداب، فكان نتيجة ذلك إنشاء المدارس والمكتبات العلمية والأدبية، مما سهل حركة الترجمة لكافة جوانب العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والطبية والكيمائية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدلل على ما وهبه المسلمين للحضارة الإسلامية وما جاورها من حضارات مستقبلية ومدى التأثير فيها إثر التقدم العلمي الذي تمتعت به الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ما قاله المؤرخ ريو في كتابه (تاريخ غزوات العرب): إن النهضة الحقيقية في أوروبا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم ونفظوا عنهم الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك في الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون في فرنسا وما جاورها يؤمون إسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا في الشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق"(1).

كما يعد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (138-172هـ - 756 - 788م) أول من بدأ بنشر بذور الحضارة العربية الإسلامية في هذه المنطقة، كما كان حريصاً على الاهتمام بالعلم في كل نواحيه، مما كان له الأثر الكبير في الاهتمام بالعلوم والعلماء، وكان مسجد قرطبة الجامع بمثابة النهر الذي ينهل منه الطلاب العلوم المترجمة والعلوم الشرعية الدينية في ذلك الوقت.

فكان المسجد الجامع المنارة العلمية التي نهل منها الطلاب الذين صاروا علماء للأمة فيما بعد دور كبير في تلك النهضة العلمية التي أنارت كافة ربوع القارة الأوروبية، فكان المسجد الجامع بمثابة القبلة العلمية التي اتجه لها كافة طلاب العلم في بقاع الأرض المختلفة نتيجة تدارس العلوم الشرعية والنقلية بطريقة مطورة تعتمد على التحديث المستمر فيها.

العلوم الشرعية في المسجد الجامع بقرطبة:

كان من أهم تلك العلوم الشرعية التي رأت ازدهاراً واسعاً في فترة الإمارة في الحكم الأندلسي، علم التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو والأدب، بالإضافة إلى علم التاريخ والجغرافيا.

(1) الأبيض، أنيس. بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، دار جروس، (1994)، ص13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم التفسير:

يعد علم التفسير للقرآن الكريم بمثابة الركيزة الأساسية للدارسين للعلوم الإنسانية، وكافة الدراسات التي ترتكز عليها الدراسات والثقافة الإسلامية، فالتفسير هو فهم القرآن الكريم بكافة العناصر التي تنتمي للمدارس المختلفة كالمدرسة اللغوية والموضوعية والإعجازية، وتفسير القرآن بالقرآن وكذلك تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة(1).

ويعرف التفسير في اللغة: علم يخص تفسير القرآن وتدور مادته حول معنى الكشف مطلقاً سواء أكان هذا الكشف لغموض لفظ أو لغير ذلك، يقال فسرت اللفظ فسراً من باب ضرب ونصر، وفسرته تفسيراً شدد للكثرة إذا كشفت مغلقه(2).

التفسير اصطلاحاً: كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، وهم أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والمقصود منه(3).

وكان أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد (ت276هـ) من أوائل علماء التفسير بالأندلس، وقد صنف كتاباً في تفسير القرآن(4) ويعد ذلك المؤلف مرجعاً للكثير من الفقهاء في وقتنا الحالي، وخاصة في بلاد المغرب العربي، حيث كان أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد من علماء قرطبة خاصة، وكان للدروس التي يلقيها في المسجد الجامع بقرطبة دور عظيم في نهضة ذلك العلم في الأندلس وكان تلاميذه من الكثرة بحيث عمروا بلاد الأندلس قاطبة ومنهم من رحل إلى بلاد المغرب لنقل علمه إلى تلك البلاد(5).

---

(1) زياد علي الجرجاوي وآخرون، دراسة تأصيلية لنشأة التفسير وتطوره ومصادره وأنماطه، جامعة القدس، 2014، ص 2.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 270.

(3) السيوطي، جلال الدين بن محمد بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، الجزء4، ص 193.

(4) قال عنه ابن حزم: (فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره).

(5) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967م، ص 548.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم الحديث:

أولى العلماء الأندلسيون والمغاربة موطأ الإمام (ت 179هـ) عناية كبيرة، فكانوا يقدموه على صحيح البخاري وصحيح مسلم، وذلك اعتماداً على اعتناقهم المذهب المالكي في فقههم، وذلك نظراً لأنه من أوائل الكتب التي دخلت إلى بلاد المغرب والأندلس، بالإضافة إلى سهولة تناوله وشرحه وخاصة على الطلاب المبتدئين، وقد نشط الأندلسيون في علم الحديث نشاطاً كبير، وبرز عدد من علمائهم في هذا المجال ولهم تصانيف كثيرة تدل على تعمقهم في دراسته والعناية به، وقد أكثر العلماء الأندلسيون من وضع معاجم أعلام المحدثين(1).

الفقه:

كانت بلاد الأندلس مجالاً خصباً لبحوث الفقه وخاصة في المسجد الجامع بقرطبة،حيث بدأ الفقه في بلاد المغرب والأندلس بمذهب الإمام الأوزاعي، ومن ثم أخذت بفقه الإمام مالك بن أنس وذلك خلال عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن (172ـ180هـ 743 – 749م)، وقد نبغ كثير من تلاميذ الإمام مالك أو تلاميذ تلاميذه في الفقه المالكي ومن أشهرهم عيسى بن دينار (وسوف يرد ذكره في الفصل الرابع)، فكان لهم شأن كبير في الأندلس، وقد صبغوا البيئة العلمية الأندلسية بالصبغة المالكية، وأصبح المذهب المالكي سمة بارزة يميز أهل الأندلس عن المشرق(2).

وقد عرف مالكية الأندلس بالتعصب المذهبي ولم يتيحوا فرصة كبيرة لأصحاب المذاهب الأخرى لنشر آرائهم فعمدوا إلى محاربتهم في كثير من الأحيان، وعلى الرغم من ذلك فإن كتب التراجم تشير إلى بعض فقهاء الشافعية الأندلسيين مثل خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني من أهل الجزيرة الخضراء(3).

---

(1) آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1955، ص 401.

(2) عيسى محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م، ص 420.

(3) عياض: أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، 1967م، 1/55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علوم اللغة والنحو:

في علوم اللغة والنحو نبغ الأندلسيون بصورة جلية(1) وأول ما ذاع بينهم منها كتب الكسائي (ت188هـ/ 759م) وسيبويه، ثم ظهر بينهم من ألف في هذا الباب كتباً، كما كان جودي النحوي أول من ألف في النحو، وهو جودى بن عثمان، من أهل مورور رحل إلي المشرق، فلقي الكسائي والفراء وغيرهما، وهو أول من أدخل كتب الكسائي وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق (ت198هـ - 769م) (2).

أما الشعر بفنونه وأغراضه المختلفة من مدح وهجاء ورثاء وغزل وغيره، فقد أبدع فيه الأندلسيون إبداعاً منقطع النظير. وكان للطبيعة الأندلسية الساحرة حيث المروج الخضراء، والأنهار المتدفقة، والرياض والحدائق المنتشرة في كل مكان أثر في نتاج الأندلسيين الشعري الغزير وخاصة شعر الغزل والطبيعة.

وقد امتاز الشعر الأندلسي بجزالة الألفاظ، وجمال رنينها وإبداع الأخيلة وبعد مداها. وبدلاً من أن يجعلوا الألفاظ مراكب للأفكار، وبدلاً من أن يدعوا القلوب تعبر عن أحاسيسها في فيض طبيعي، نجدهم يغدقون علينا طوفاناً من الألفاظ الرنينة والأخيلة البراقة وتدور أشعارهم حول أنواع مختلفة من المواضيع فنجدهم يتغنون بمباهج الحب الموصول، ويصفون آلام الهوى الخائب، ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق، ويبكون في لهجة مشبوبة آلام الفراق. وقد حرك مشاعرهم جمال الطبيعة الأندلسية، فمضوا يمتدحون غاباتها وأنهارها وحقولها الخصيبة.

(1) يقول بالنثيا: (كان الناس أول الأمر يدرسون اللغة في الأندلس عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب، دون استعمال كتب خاصة في النحو، ثم عرفوا بعد ذلك كتبه).

(2) آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مصدر سابق، ص 185.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودفعهم ذلك الجمال إلى تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالي الساجية تنيرها النجوم. وكانوا إذا أشرقت نفوسهم بنور الإلهام تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات المواطن الأولى التي أقبلوا منها، حيث كان أسلافهم يضربون الفيافي والقفار تحت شمس لافحة، فكانت تصدر عن نفوسهم ـ بين الحين والحين ـ نفثات فياضة بعصبية جنسية غريبة، كانت تنبعث من أفواههم كأنها أعاصير صحراء وكان لهم إلى جانب ذلك شعر ديني عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله(1).

علم التاريخ:

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام فكان من الطبيعي أن ينتقل المسلمون بين المراكز الإسلامية رغبة في تحصيل العلم سواء من الشرق أو الغرب فقد أفرد المقري في كتابه (نفح الطيب) بابين كبيرين ذكر فيهما الوافدين إلى الأندلس، ورحل كبار العلماء بين المراكز الإسلامية مثل ابن خلدون. وكان الحج باعث على القيام بالرحلات فتتابع الرحالة المسلمون للقيام برحلات لتأدية فريضة الحج. وحرص هؤلاء الرحالة على تدوين مشاهداتهم وتسجيل أخبار رحلاتهم وأسفارهم والمسالك والطرق التي ساروا فيها والمسافات التي قطعوها في تنقلاتهم والمدن التي نزلوها والصعوبات التي واجهتهم وغير ذلك من الأوصاف(2).

وقد علم التاريخ نال من الأندلسيين كل عناية واهتمام، وأصبحت الدراسات التاريخية ثمرة ناضجة، وموضع الدرس والإقبال من الطلاب، بداية بأيام العرب القديمة، وظلت تروى شفاهًا بالطريقة التقليدية، أو المدونات التي تسجل الأحداث شهرًا فشهرًا، وعامًا فعامًا، وتترجم للأعلام في السياسة والدين والأدب، أو تختص بتدوين الأحداث التي وقعت في بلد ما، وانتهاءً بتلك التي تبلغ قمة الرقي، فتهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة التاريخ(3).

(1) آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مصدر سابق، ص 26 – 27.

(2) عواطف بنت محمد، مدخل إلى علم التاريخ، د.ط، 2014، ص 36.

(3) محمود إسماعيل، الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ط1، منشورات الزمن، المغرب، 2008، ص72.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم الطب:

شهد علم الطب في عصر الإمارة اهتماماً واضحاً كان أساسه الاضطرابات التي كانت تحدث في تلك البقعة، حيث انتشرت الأوبئة والأمراض، فكانت البدايات الاهتمام ببناء الحدائق وذلك لتطوير علم الطب والصيدلة حيث تزايد مع الوقت الاهتمام بالنباتات والأعشاب والزراعة التطبيقية في ميدان الطب والصيدلة، وكان بداية استقرار الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل بالمنطقة، بداية التغيير في واقع العلم، حيث كان برفقته عند دخوله إليها الطبيب الوليد المذحجي(1) فاهتم بالطب وكان الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمن الداخل والمدبر لعلاجه وحفظ صحته(2).

وقد كانت الأندلس في ذلك الوقت تعتمد في الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يسمى الأبريشم، وكان قوم من النصارى يتطببون، ولم تكن لهم دراية بصناعة الطب(3)، وما يدل على ذلك قول صاعد الأندلسي(4): "كان الناس... يعولون في الطب على قوم من النصارى لم يكن عندهم تحقق ولا شيء من سائر العلوم على كتاب بأيديهم من كتب النصارى يقال له الأبريشم".

ويعد أول كتاب تم تأليفه عن علم الطب في بلاد الأندلس هو كتاب (المختصر في الطب) والذي ألفه عبد الملك بن حبيب السلمي الإلبيري(5) (ت238هـ - 853م)،

---

(1) أبو إبراهيم الوليد المذحجي، وهو أول من عُرف بصناعة الطب في الأندلس.

(2) البكري: أبو عبد الله بن عزيز (ت487هـ): المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1968م، ص371.

(3) ابن البيطار: ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي،(ت646هـ): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 182.

(4) ابن جلجل :أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت في القرن الرابع الهجري): طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م، ص 74.

(5) عالم الأندلس وفقيهها في عصره. أصله من طليطلة، من بني سُليم، أو من مواليهم. ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة. كان عالما بالتأريخ والأدب، رأسا في فقه المالكية. له تصانيف كثيرة، قيل: تزيد على ألف. منها «حروب الإسلام» و «طبقات الفقهاء والتابعين» و «طبقات المحدثين» و «تفسير موطأ مالك».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يعد هذا الكتاب حتى يومنا هذا مرجعاً أساسياً وهاماً في الطب الشعبي بالأغذية والأعشاب، فهو يحتوي على معلومات وافرة غنية عن الأعشاب والنباتات واللحوم والأسماك والحليب والحجامة والعسل والرقى من العين والحماية من السحر وعلاج لبعض الأمراض المعروفة قديما وحديثا، كما أن هذا الكتاب يرد كل فائدة وعلاج إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ففي ذلك الكتاب قام الألبيري بجمع أخبار الطب العربي القديم متضمناً الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الطب، بالإضافة إلى الأصول الفقهية في التداوي والعلاج، وقام بذكر الأدوية والأغذية المناسبة للأمراض المنتشرة في ذلك العصر، بالإضافة إلى جبر الكسور والأدوية العشبية والنباتية التي لها القدرة على الشفاء من الأمراض(1).

تطور الطب في عهد خلافة بني أمية:

كان أطباء الأندلس يجمعون شتى العلوم، وقد ساعدهم على ذلك في المضي قدما بعلم الطب في الأندلس إلمامهم باللغة العربية ولقد حققت هذه النقلة العلمية في علم الطب على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي بدأ يعمل على إقرار الأوضاع السياسية في المنطقة فاستتبت له الأمور واستقرت الأوضاع، وقد انعكس هذا الاستقرار على واقع العلوم بالأندلس في تلك الفترة فنشطت الرحلات الفكرية والعلمية بين المشرق والأندلس(2).

وقد بلغ الطب في عهد الخلافة الأموية مبلغاً عظيماً من التقدم، حيث كان المسلمون يحتلون مكانة عظيمة في ذلك العلم نتيجة أخذهم بالصبغة العلمية القائمة على التجربة والملاحظة، فكانوا أول من أهتم بفحص المريض وحبس بعضه والنظر إلى قوله ، كما بينوا أهمية التشريح في علم الطب(3).

---

(1) محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 11.

(2) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السليماني (776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله، ط2، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م، ص 204.

(3) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595)، الكليات، تحقيق/ سعيد شيبان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1989، ص 127.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحرصا منه على المضي قدماً بها انتدب ابنه الحكم المستنصر (350-366هـ/960-976م) لرعايتها، فسمح له بالإغداق على العلماء داخل الاندلس، كما سمح له ايضاً إكرام العلماء الوافدين من المشرق إلى الأندلس لينشروا فيها علومهم ومنهم أبا بكر سليمان بن باج الذي كان عارفا بالأمراض وصناعة الأدوية وقد وفق في معالجة الخليفة في اقصر مدة من رمد أصيب به، وتولى بعد ذلك الخلافة هشام المؤيد (366-399هـ - 976 -809م) حتى عصفت بالأندلس فتنة كبرى أودت في النهاية بخلافة بني أمية(1).

ومن الأمور التي قاموا بها من أجل تحسين ورعاية مهنة الطب ما يأتي:

قام الخلفاء الأمويين والقائمين على علم الطب في بلاد المغرب والأندلس من المسلمين بالعديد من الأمور التي من شأنها أن تحسن من مهنة الطب والأداء العام لأساتذتها وعلماؤها، ومن أهم تلك الأمور التي قاموا بها ما يلي:

أولاً: إنشاء المؤسسات الاستشفائية: كان توفير المرافق التي تعنى بالاهتمام بالمرضى وتوفير الدواء والعلاج لهم من الأهمية بحيث كانت الأندلس في ذلك الوقت هي حاضرة الخلافة الإسلامية في علم الطب لما توافر فيه من مشافي للمرضى، بالإضافة إلى دراسة علم الطب نفسه، ومن أبرز هذه المؤسسات:

(1) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد(ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ص 194.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البيمارستانات: تعد تلك الكلمة فارسية الأصل وتتكون من (بيمار) ويقصد بها المريض و(ستان) بمعنى مكان أو دار، وبهذا يكون معنى الكلمة موضع أو مكان المرضى، أي المستشفى بلغة العصر الحديث(1)، وظهر جلياً اهتمام بني امية في الأندلس بتأسيس البيمارستانات فيها وخاصة أنهم كانوا حريصين على إحياء صرح مجد دولتهم وحضارتهم بهذه المنطقة(2).

المعسكرات والربط: كانت الظروف والأحداث المصاحبة لبناء الدولة الإسلامية في الأندلس مثار الكثير من القلاقل فيما بين الدولة الإسلامية والممالك والإمارات الأوروبية، فكانت الحاجة الدائمة إلى المعسكرات لحماية حدود الدولة والاستعداد لأي خطر يداهمها، و نتيجة تلك الظروف والأحداث بين الدولة الإسلامية وغيرها من القوى كانت الحاجة إلى إقامة المعسكرات المستمرة، فاستدعت تلك الحالة القيام بالتطبيب للجرحى في المعارك كانت مرافقة الأطباء لتلك الجيوش من الضرورة بحيث يتم فيها العلاج لتلك الحالات بين الجنود(3).

العيادات: خصص الأطباء الأندلسيين دوراً خاصة لاستقبال المرضى والتي كانت تعرف باسم العيادات، وكان العلاج في العيادات يختلف عما كانت عليه في البيمارستانات، حيث كان يتم مقابل مبلغ مالي يقدمه المريض للطبيب والعلاج فيها كان مزدهرا ومتطورا، كما استعملت مصطلحات أخرى والتي تعبر عن نفس معنى العيادات منها الدكان أو الحانوت أو بيت الطبيب(4).

---

(1) عبد الواحد المراكشي : محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت640هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، دار النهضة المصرية للطباعة، القاهرة، 1930م، ص297.

(2) ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد (ت712هـ): البيان في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص 254.

(3) البغدادي: إسماعيل باشا (ت1339هـ): هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 175.

(4) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961م، ص 137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك أولى العلماء المسلمين أهمية خاصة بالصيدلة وتصنيع الأدوية كنتيجة لتقدمهم في علم الطب(1).

دور مسجد قرطبة في تطور علم الطب في الأندلس:

يعد المسجد الجامع بقرطبة (92هـ - 753م) مؤسسة دينية بشكل خاص إضافة إلى قيامه بالعديد من المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية بشكل عام، ولم تقتصر الوظيفة العلمية له على العلوم الدينية فحسب بل كان يدرس فيه العلوم الدينية والدنيوية، وازدادت أهمية المسجد الجامع بقرطبة بعد تقديمه دروس علمية يحصل فيها طلاب العلم علومهم، أي أصبح بمعنى المدرسة والتي استحدثت في عصر متأخر، وقبل وجود دور للمساجد في التعليم كانت تحدث عملية التعلم من خلال المحاضرة، وقد حرص خلفاء الأندلس على إنشاء المحاضر وتعميمها في أرجاء البلاد، وقد أقام الخليفة الأموي الحكم المستنصر سبع وعشرين محضر بقرطبة، ثلاثة منها بجوار المسجد الجامع، وأربعة وعشرين موزعة في أحياء قرطبة ليدرس فيها أبناء الضعفاء والمساكين(2).

- بدأ الأطباء الأندلسيون خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي يساهمون في ترجمة أمهات الكتب الطبية الشهيرة، وخاصة مع اهتمام الخلفاء الأمويين بذلك، فيعود الفضل إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في تكوين هيئة علمية من الأطباء الصيادلة واللغويين العارفين بالأعشاب، عملت على ترجمة كتاب "الحشائش" لـ"ديسقوريدس"، عملت هذه المجموعة من الأطباء على ترجمة الكتاب الى اللغة العربية معتمدة الطريقة العلمية الميدانية، وذلك بالوقوف على أنواع النباتات ومعانيها والتأكد في النهاية من صحة النقل من اليونانية الى العربية(3).

(1) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595)، الترياق، تحقيق/ جورج شحاته، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،1987، ص 413.

(2) مؤنس، حسين حامد: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711هـ/756م)، ط2، الدار السعودية، الرياض، 1985م، ص 218.

(3) آمنة عودة حمزه، الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير تقدمت بها إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2007م، ص 36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أكبر مظاهر تقدم المسلمين في علم الطب معرفتهم بطبائع الأمراض كمرض الجدري والحصبة، كما كان لهم السبق في استخدام الأمصال، وكما سبق وأشرنا أسبقيتهم بدراسة الجسم وتشريحه، كما يعزى إليهم السبق في تفتيت حصى المثانة وسد الشرايين النازفة، كما كان لهم الأسبقية بمعرفة ضرورة استخدام (المرقد) المخدر في العلميات الجراحية، ونتيجة دراستهم الطب على أسس علمية فقد كان الفضل للعلماء المسلمين في اكتشاف الأخطاء العلمية لمن سبقهم، فقاموا بتصحيح آراء أبو قراط وجالينوس في التشريح ووظائف أعضاء الجسم، كما أثرت حركة الترجمة التي ازدهرت في الأندلس إلى ترجمة أكثر من ثلاثة آلاف كتاب طبي من اللاتينية إلى العربية، وألفوا المؤلفات الطبية التي كتبها العديد من الأطباء المسلمين ويدلل على ذلك كتاب الطب والجراحة لخلف بن عباس الزهراوي الأندلسي الذي كان يدرس في جامعات أوروبا لفترات طويلة حتى القرن السابع عشر الميلادي(1).

والخلاصة أن المدرسة الأندلسية في علم الطب والصيدلة التي تم تناولها في المسجد الجامع بقرطبة كان لها خصائصها المميزة من الناحية الشكلية والموضوعية، وهي تنتظم في البنيان الفكري العربي الشامل وتؤلف معه وحدة متناسقة هي التي أهلته لاحتلال مكانه المتميز في التراث الإنساني المشترك.

علوم الفلك:

أما مجال علم الفلك والهندسة والرياضيات فقد توصل علماء العرب في الأندلس إلى حقائق علمية رائدة في علم الفلك منهم صاحب القبلة أبو عبيدة البلنسي (ت295هـ/907م) الذي قال بكروية الأرض واختلاف المناخ في أنحائها(2).

(1) حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار الكتب اللبنانية، د.ت، ص 71.

(2) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت404هـ)، (تأريخ علماء الأندلس)، طبعة كوديرا – مدريد 1892م،ج2، ص 126.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان اهتمام العرب في الأندلس بالفلك في بادئ الأمر مقتصراً على رصد الكواكب وحركاتها وعلاقتها بالكسوف والخسوف، وكذلك لمعرفة علاقاتها بالحرب والسلم والظواهر الطبيعية، كما أن ارتباط بعض أحكام الدين الإسلامي بالظواهر الفلكية جعل العرب يهتمون بأمور علم الفلك، فاقتضى معرفة المواقع الجغرافية للبلدان، ومركز الشمس في البروج، وذلك لاختلاف أوقات الصلاة ومعرفة مكان القبلة(1).

وبالإشارة إلى ما سبق فإنه يذكر لعلماء المسلمين تعمقهم في دراسة الفلك، وكانت الدارسة في بادئ الأمر دراسة دينية لمعرفة أوقات الأهلة ومعرفة مكان القبلة ومواعيد الصلوات، تم تطور الأمر لمعرفة أماكن وطرق سير القوافل، ويحسب للمسلمين عند دراستهم للفلك أنهم قاموا بتطهيره من الأدران التنجيمية التي صاحبت دراسته من جانب علماء اليونان، فجعلوه علماً رياضياً مبيناً على الرصد والحساب حسب ما يتراءى من الظواهر الفلكية.

فكانت للعلماء المسلمين الإسهامات العظيمة والبارزة في العلوم الفلكية وتطويرها بشكل عام، وخاصة فيما يتعلق بحركة الشمس والقمر والأرض مستمدين قواعد ذلك العلم من الآيات الدالة على خلق الكون من القرآن الكريم، وذلك بهدف ضبط مواقيت العبادة التي تتعلق بها، فعمدوا إلى تقنين دورة الشمس والقمر وفق معايير ثابتة قاموا بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

حساب الوقت ومعرفة ساعات النهار والليل بشكل عام ومعرفة مواقيت الكسوف والخسوف.

حساب مواقيت الصلوات الخمس خلال الليل والنهار.

حساب مواقيت إهلال القمر لمعرفة مواقيت دخول الشهر الهجري.

(1) حكمت بخيت عبد الرحمن، تاريخ العلوم عند العرب، بغداد، 1977، ص186.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حساب مواقع الكواكب والنجوم بهدف الاهتداء بها في البر والبحر ومعرفة مواقيت ساعات الليل.

معرفة خطوط الطول والعرض بهدف التعرف على جهة القبلة في كافة البلاد التي دخلها الإسلام، وأماكن بناء المساجد وتوجيهيها للقبلة(1).

فعندما ننظر في علمي الفلك والتنجيم، هذين الفرعين من المعرفة كانا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً في العصور الوسطى، ولعل عبد الواحد بن إسحاق الضبِّي (الذي ذاع صيته عام 184هـ/800م) هو أول منجم أندلسي ترك عملاً مكتوباً، وهو يعطي فكرة عن وضع هذا الفرع من المعرفة قبيل نهاية القرن الثاني الهجري ؛ إذ ألف أرجوزة تنجيميه لم يبق منها إلا 39 بيتاً، تستند فيها التنبؤات التنجيمية إلى نظام الصُّلب اللاتيني المتأخر، وهذا التقليد التنجيمي اللاتيني كان أكثر من التقليد الهليني المعتبر الذي تبناه عرب المشرق وأدخلوه في وقت لاحق إلى الأندلس: فهو يقرن المنازل التنجيمية بصور البروج؛ وتستند التنبؤات فيه إلى مواقع الكواكب (وبشكل رئيسي زُحل، والمشتري، والمريخ، والشمس) في الثلاثيات (triplicities) الأربع للهواء والماء والنار والتراب؛ وتُؤخذ فيه بعين الاعتبار فقط المواقع المتوسطة للكواكب؛ ومن الواضح أنه يتجاهل مبادرة الاعتدالَيْن(2).

علم الحساب والهندسة:

يعرف علم الهندسة عند العلماء المسلمين بأنه العلم بقوانين تُعرف منه الأصول العارضة للكم من حيث هو كم، وجاء تعريفه للقنوجي في كتابه الشهير (أبجدية) بأنه: "علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاع بعضها عند بعض، ونسبتها وخواص أشكالها، والطريق إلى عمل ما سبيله أن يعمل بها، واستخراج ما يحتاج إلى استخراجه بالبراهين اليقينية"(3).

(1) قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، د.ط، هدية المقتطف السنوية، 1941، ص 65.

(2) خوليو سامسو، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة سلمى الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999، ج2، ص 194.

(3) الفتوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي (توفي 1307هـ)، أبجد العلوم، الرياض، دار ابن حزم،2002، 2/572.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما كان علم الهندسة من العلوم الرياضية العقلية التي تستدعي الفكر وإعمال العقل، فإن الإسلام يكون أول ما يدعو إليه ويحث عليه، خاصة وأن استعمال مثل ذلك مما يؤدي إلى الإقرار بالوحدانية والاعتراف بالإبداع الكوني الرباني المعجز، فقد شهد المسلمون إقبالاً عليه لتعلمه لأهميته، وقد طبق العرب الأندلسيون النظريات الهندسية على فن البناء، وظهر ذلك جلياً في بناء الرائعة المعمارية للمسجد الجامع بقرطبة، فشيدوا الأبنية التي تميزت بالفخامة والإتقان والمتانة كالمدن والقصور والجوامع، ومنها مدينة الزهراء وجامع الزهراء وقصر الحمراء، والنوافير المائية، بالإضافة إلى عنايتهم بالنقوش والزخارف، كما اهتموا بهندسة الري أيضاً وذلك لأن تنظيم الري يتطلب معرفة دقيقة بمستوى الأرض وانحدارها وبكمية الماء وسرعة مجراها، ومواد البناء وطرق بنائها(1).

كذلك كانت للعلماء المسلمين إبداعاتهم في علم الهندسة، فمن المسلم به تاريخيًا وعلميًا أن المسلمين أضافوا إضافات جوهرية كثيرة، وأدخلوا أمورًا جديدة على هندسة من سبقهم، وكان من ذلك: تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية وكذلك الدائرة، وقد ألف الكندي الرسائل المختلفة في تقسيم المثلث والمربع واستخرج سمت القبلة، وكان يرجع إلى مؤلفاته المعماريون عند القيام بحفر الأقنية والجداول بين دجلة والفرات، وأدخل المسلمون أيضا المماس والقواطع، واستخدموا فن الزخرفة الذي يعتمد على قواعد هندسية في رسم المغلقات، وترتيب الخطوط، وأوراق النبات، وجمع المسلمون بين الهندسة والجبر، ولذلك يُعتبرون واضعي الهندسة التحليلية(2).

كما يعد علماء المسلمين من الأوائل الذين نبغوا في علوم الهندسة والرياضيات والحساب، وذلك كونهم أول من طور في ذلك العلم واكتسب تطورهم الصبغة الابتكارية لذلك العلم، فعلى الرغم من أن الأرقام كانت تنسب للهنود وأخذها العرب المسلمين منهم،

(1) صالح العلي، دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الإسلامية، بغداد، مجلة المورد، مجلد 3 العدد 4، 1974، ص45.

(2) حكمت فريحات وآخرون، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت، ص 94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيحسب لهم أنهم قاموا على تطويرها فصارت تنسب إليهم وللحضارة الإسلامية وانتقلت للحضارة الغربية عن طريق الترجمة والتي يستدل على ذلك كون الغرب يقرأون الأرقام من اليمين إلى اليسار تأكيداً على نسبتها للعرب المسلمين، ويعد الخوارزمي من العلماء الذين أخذ الغرب منهم الكثير كمصدر لعلم الحساب والهندسة والاقتصاد على السواء.

كذلك فلم يقتصر تطوير المسلمين لعلم الحساب والهندسة عن طريق الأرقام فقط، فكان تعريف الحجم فيزيائياً ورياضياً من أهم منجزات العرب في علم الحساب والهندسة والتي عن طريقها تمكن اسحاق نيوتن في القرن السابع عشر من وضع الحساب اللا متناهي(1).

علم البصريات:

يعتبر ذلك العلم من العلوم التي اتضح خلالها إبداع علماء المسلمين وبرز على رأس تلك القائمة ابن الهيثم الذي أحرز في ذلك العلم تقدماً واضحاً جلياً لم يكن معروفاً قبله، فكانت النظريات التي قام بها علماء المسلمين في مجالي الفيزياء والبصريات مرجعاً ومصدراً هاماً لمن بعدهم، وصاحبة التأثير الأكبر على العلوم الأوروبية حتى وقتنا هذا، فكانت تجارب علماء المسلمين هي الأولى من نوعها من حيث تقنيتها والمواضيع التي ناقشتها، حيث كان الفضل لهم في إجراء التجربة على تمدد أشعة الضوء في خط مستقيم وبرهنت على ذلك، ويستدل على ذلك بتأثر ليوناردو دافنشي في ابتكاره آلة التصوير بنظريات ابن الهيثم في ذلك(2).

(1) هونكة زيغريد، شمس الله على الغرب – فضل العرب على أوروبا، ترجمة/ فؤاد حسني علي، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص 116، وسيشار إليه لاحقاً (ريغزيد هونكة، فضل العرب على أوروبا).

(2) هونكة زيغريد، فضل العرب على أوروبا، المرجع نفسه، ص 149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان المسلمون في الأندلس قبل عصر الخلافة يحسون بنقص وبنوع من التخلف عن المسلمون في الشرق، حيث أنهم كانوا يعتمدون على العلوم الواردة إليهم من الشرق المسلم، وفي عصر الخلافة بدأ الأندلسيون يتوجهون نحو الاعتماد على أنفسهم في بناء كيانهم العلمي، نتيجة بناء المسجد الجامع في قرطبة وما قدمه من دور علمي حيوي في العالم الإسلامي خاصة والعالم ككل بصفة عامة، فأصبح أهل الأندلس من المسلمين في موقف العطاء والبذل العلمي، ولا يعني هذا أنّهم قطعوا علاقتهم بالمشرق بل ظلوا على اتصال به وبعلمائه ولكن في صورة أقل مما حدث قبل هذا العصر.

فقد قام الأندلسيون في عصر الخلافة بالخروج من دائرة الاعتياد على التقليد والاحتكام إلى ما يرد إليهم إلى دائرة الإبداع والاختراع العلمي في كافة المجالات، حتى الدينية الشرعية منها، وذلك بظهور العديد من الفقهاء والعلماء المسلمين إلى دائرة النور، وذلك نتيجة بروز الشخصية العلمية في ميدان الفكر، إنّ ظاهرة اكتمال نمو الشخصية العلمية قد أطلّت برأسها في عصر الخلافة، فقد تحركت تيارات ثقافية منذ عهد الخلافة نحو منازع الاستقلالية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأثرت الحياة العلمية للمسلمين في الأندلس نتيجة تطور العلوم في تلك الفترة، بل امتد تأثيرها إلى أوروبا التي أصبحت ترى في المسلمين في الأندلس حاضرة جديدة لأوروبا تنهل من علومها وتقدمها كافة الدول الأوروبية، ومما يدلل على ذلك ويجدر الإشارة إلى أن تقدم المسلمين في علم الطب في بلاد الأندلس أنه تم نقله إلى أوروبا نتيجة لهذا التقدم، فقد اشتهرت الأندلس منذ أن دخلها المسلمون في جميع أرجاء أوروبا بالتقدم العلمي والحضاري الذي كان سببه المسلمون ويقول غوستاف لوبون في ذلك: "لقد بلغ نبل الدعوة التي حملها أبناء الجزيرة العربية إلى العالم في كل مكان اتجهوا إليه،

أن أصبح قادة هؤلاء الأقوام الذين تبينوا أن بلادهم ستكون ممر الجحافل العربية يترقبون الحج ويتشوقون لاقتراب ساعة ظهور تلك الطلائع المتهللة نصراً والحاملة لشعلة العدل والرحمة والحضارة لأن السمعة الطيبة وسمو الأهداف كانا يسبقان أبناء العرب، وكان الأسبان المسيحيون يملؤون أجواء أوروبا بالمديح والإعجاب بأعمال العرب وشرائعهم ومعاهدهم وحضارتهم ويشيدون بالعمران الذي أدخلوه على البلاد الأسبانية"(1).

(1) الخربوطللي، علي حسني.(1970): الإسلام في البحر المتوسط، بيروت، دار العلم، ص144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع
(العلماء والمتعلمون في جامع قرطبة) 138 – 316هـ

م	الموضوع
	الغازي بن قيس
	عيسى بن دينار
	يحيى بن يحيى الليث
	عبد الرحمن القرطبي
	أبو مروان بن عبد الملك
	إبراهيم بن يزيد
	محمد بن يوسف بن مطروح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

(العلماء والمتعلمون في جامع قرطبة)

138 – 316هـ

شكَّلت النهضة العلمية والأدبية التي تمتَّعت بها الأندلس إبان العصر الإسلامي منارة للمتعلمين، بل أصبحت قبلة لطلاب العلم، وقد ساهم جامع قرطبة في تعزيز تلك المنار العلمية التي أمست مقصداً للعلماء للتزاور والتدارس، ولطلاب العلم لنيل العلم من أربابه من أرقى وأعظم علماء الزمان من المسلمين.

فقد لعبت الأندلس دوراً ريادياً في ازدهار الحضارة بسعيها لنقل المعرفة والعلم إلى أوروبا على الرغم من التباين الواضح في اللغة والجنس والثقافات والعادات فيما بين المسلمين وأهل أوروبا، وجدير بالذكر أن تلك العوائق لم تقف حائلاً بين سطوع شمس الحضارة الإسلامية على الغرب في جميع أنحاء أوروبا التي تأثرت بتلك الحضارة نتيجة جهود العلماء المسلمين المخلصة في إثراء العلم بكل ما هو جديد ونافع للإنسانية قاطبة.

فقرطبة زينة الدنيا وجوهرة العالم - كما سماها الأوربيون- التي اشتهر سناؤها وبهر ضياؤها في الشرق والغرب، منبع العلم والأعلام، وهي أول مدينة في العالم تقضي على الأمية، إنها مدينة تحكي قصة شموخ الحضارة الإسلامية يوم أن كانت مدينة لندن مجموعة أكواخ على نهر التايمز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعد قرطبة صانعة التاريخ والمعرفة، أزهى حواضر أوربا كلها، بلغت من الازدهار والرقي في العلوم منزلة كبيرة، فمكتبتها كانت تضم أربع مئة ألف كتاب، حين كانت أكبر المكتبات في شمال أوربا وهي مكتبة دير القديس سانت غالن(1) تضم ست مئة كتاب(2).

وتنوعت مقاصد طلب العلم في الأندلس وخاصة مدينة قرطبة، وذلك نظراً لتنوع مصادره ومجالاته الدينية والعقلية على السواء، حيث تزايد عدد العلماء فقل من يوجد متبحراً في علم واحد أو علمين، بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين، بالإضافة إلى الشعراء المسلمين الذين أُثروا الحياة الأدبية الإسلامية في عصر الإمارة وما بعدها.

ونتيجة لذلك تعدد العلماء وطلاب العلم الذين أصبحوا فيما بعد من العلماء والفلاسفة العظام الذين ورثوا علماً وفلسفة وطباً وهندسة وفلكاً واقتصاد وكافة مناحي العلوم الشرعية والعقلية إلى يومنا هذا.

ومما ساهم في تعاظم دور العلم في عصر الإمارة في الأندلس، أن شعب الأندلس من الشعوب المقبلة على العلم للعلم ذاته، ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم، وكان الرجل ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان.

ومما هو جدير بالذكر أن أهل الأندلس ظلوا على رأي أبي عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام منذ الفتح الإسلامي، إلى أن رحل إلى المشرق جماعة من أبناء الأندلس من أجل الحج وطلب العلم، فالتقوا بالإمام مالك بن نس رحمه الله فسمعوا منه وأخذوا عنه كتاب الموطأ قبل الانتهاء من كتابته.

---

(1) تأسست في عام 719م ضمن مجمع شيد في عهد الملك شارلمان وهي مكتبة الدير الوحيدة التي أنشئت في العصور الوسطى ومازالت قائمة في مكانها الأصلي ونظراً لعمق جذورها في التاريخ اعتبرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) في العام 1983 تراثاً للإنسانية. http://www.albayan.ae

(2) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، دمشق، دار القرطاس للطباعة والنشر والتوزيع، 1969، ص 38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما رجعوا إلى بلادهم وصفوا للناس فضله وسعة علمه وجلالة قدره، وجلسوا في حلقات الدرس يعلمون الناس أحكام الدين، ورواية ما حملوه معهم من المشرق وبالأخص موطأ الإمام مالك.

واحتلت هذه النخبة من العلماء الصدارة في المجالس واجتذبوا الناس إليهم بما يحكونه من أنباء رحلتهم العلمية، وأحوال مشايخهم وأخبارهم، ولطائف الحكم وطرائف النكت التي سمعوها والوقائع الصحيحة التي صادفوها فاستنهضوا بذلك همم طلبة العلم، ورغبوهم في سلوك سبيل الرحلة والأخذ عن كبار علماء المشرق عامة، والالتقاء بالإمام مالك خاصة، وعقد العزم على ذلك، وعدم التأخر حتى لا يضيع العلم بموتهم.

وسوف نستعرض دور جامع قرطبة في إمداد الحضارة الإسلامية بالعلماء المقتدرين في علومهم الشرعية والعقلية على السواء.

الغازي ابن قيس (ت 199هـ):

الإمام شيخ الأندلس أبو محمد الأندلسي المقرئ ارتحل من الأندلس وتنوعت المصادر التي أخذ عنها علمه وفقهه، فقد أخذ العلم عن العالم الفقيه ابن جريج وابن أبي ذئب والأوزاعي ومالك ونافع بن أبي نعيم، و روى عنه عبد الملك بن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب وابنه عبد الله بن الغاز وآخرون.

ويعد غازي بن قيس أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى بلاد الأندلس وذلك في أيام عبد الرحمن بن معاوية، كما كان يدرسه في المسجد الجامع بقرطبة، ويذكر له أن الإمام مالك كان يكرمه ويقدره لما له من طبائع في الزهد وطلب العلم والنجابة، فكان له الفضل في انتشار المذهب المالكي في بلاد الأندلس(1).

(1) مصطفى الهروس، المدرسة المالكية في الأندلس حتى نهاية القرن الثالث الهجري (نشأة وخصائص)، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1997، ص 170.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من موالي بني أمية، وعنه أنه قال عرضت مصحفي هذا بمصحف نافع ثلاث عشرة مرة، وكان إماماً صالحاً متهجدا، كما كان مشهور عنه أنه مجاب الدعوة كبير الشأن حاذقا برسم المصحف، كان يقول ما كذبت منذ احتلمت قال الداني هو قرطبي وقال القاضي عياض كان من أهل إفريقية وعن أصبغ بن خليل سمع الغازي يقول والله ما كذبت كذبة قط منذ اغتسلت(1).

مسيرته:

كان أبو محمّد الغازي بن قيس مولّدا من أهل الأندلس و لمّا دخل عبد الرحمن ابن معاوية إلى الأندلس (سنة ١٣٨) كان الغازي بن قيس يشتغل بالتأديب (التعليم) في قرطبة. ثمّ إنّه رحل إلى المشرق ثمّ عاد إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢ هـ)، و أدرك الغازي بن قيس-في رحلته إلى المشرق-الأصمعي (ت 155هـ) و روى عن الأوزاعي (ت 157هـ) وشهد مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) و هو يؤلّف الموطّأ و رواه عنه و حفظه و قيل إنّ الغازي بن قيس أول من أدخل كتاب الموطّأ إلى الأندلس، كما أدرك نافع بن عبد الرحمن (ت 169هـ) أحد القرّاء السبعة (للقرآن الكريم) و قرأ عليه و أدخل قراءته إلى الأندلس.

و لمّا دخل الأمير عبد الرحمن إلى الأندلس (١٣٨ه) وجد فيها يحيى بن يزيد اللخميّ قاضيا فأثبته على القضاء و لم يعزله إلى أن مات (النباهي ٢١). فيقال إنّ الأمير عبد الرحمن أراد أن يعيّن للقضاء الغازي بن قيس فأبى الغازي فولّى عبد الرحمن عندئذ معاوية بن صالح الحضرميّ الحمصي (ت 168)، ثم إنّ الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠ ه) والأمير الحكم بن هشام (١٨٠-206 ه) جعلاه مؤدّبا لأولادهما و كانت وفاة الغازي سنة ١٩٩هـ-814م و قد أسنّ في الغالب(2).

(1) مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي - طبقات المالكية - الطبقة الأولى: الأندلسيون - الغازي بن قيس الأموي القرطبي، ص 219.

(2) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج18، ص 302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يعد الغازي بن قيس واحد من أهم العلماء المسلمين الذين تحدثوا عن رسم المصحف الشريف وله أثر بارز في ذلك الأمر، ويحسب له أنه قام بتأليف كتاب في رسم المصحف الشريف أسمه (هجاء السنة) (1).

عيسى بن دينار (ت 212هـ):

أبو محمد عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، فقيه الأندلس في عصره، وأحد علمائها المشهورين، لم تشر كتب التراجم إلى سنة ولادته، إلاّ أنها ذكرت أن أصله من طُلَيطُلة، وأنه انتقل بعد ذلك إلى قرطبة وسكن فيها.

حياة عيسى بن دينار:

يعد الفقيه عيسى بن دينار من الفقهاء المسلمين الذين ذاع صيتهم في وقتهم في القرن الثاني الهجري وحتى بداية القرن الثالث الهجري، فقد عاصر عيسى بن دينار أربعة من أمراء الأندلس الأمويين، وكان له أن يشهد التطور الحادث في الحياة الفكرية والعلمية والسياسية في بلاد الأندلس في ذلك الوقت، ففي عهد عبد الرحمن الداخل قام برحلة في طلب الحديث، رافقه فيها عدد من الفقهاء الذين غادروا الأندلس إلى المشرق الإسلامي، فدرسوا على الإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة ونقلوا عنه كتابه «الموطَّأ»، فلما رجعوا إلى الأندلس أخذوا يبشرون بالمذهب المالكي، بعد أن كان مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام هو السائد في الأندلس(2).

(1) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز (ت 748هـ)، سير أعلام والنبلاء، ط3، الرياض، مؤسسة الرسالة، 1985، الجزء 9، ص 339.

(2) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ العلماء والرواد للعلم بالأندلس، بغداد، مكتبة المثنى، بغداد، 1954، ص 164.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الفقيه عبد الرحمن بن القاسم العُتَقي المصري(1) من أهم تلاميذ الإمام مالك ورواته، فقد صحب الإمام مالك ما يقارب من عشرين سنة وبعد تلك الصحبة قام بتأليف أعظم مؤلفاته، ألا وهي المدونة الشهيرة في الفقه المالكي، فلما كان عيسى بن دينار في مصر لازم ابنَ القاسم وتتلمذ على يديه وأخذ عنه الفقه، فكان ابن القاسم يجل تلميذه عيسى بن دينار ويكرمه ويعوِّل عليه.

وبعد وفاة عبد الرحمن الداخل سنة 172هـ تولى الحكم ابنه هشام بن عبد الرحمن، فكان حسن السيرة، يؤثر مجالس العلم والأدب والفقه والحديث، وكان الإمام مالك رغماً عن بعد المسافة بينه وبين عيسى بن دينار، يسأل عن أحواله وفقهه وعلمه، و يعجب بسيرته وصفاته الأخلاقية، ويشيد بعدله وتقواه. فما لبث المذهب المالكي أن توطدت أصوله وترسخت قواعده بجهود عيسى بن دينار وغيره من الفقهاء الذين كان هشام يجلهم ويقربهم إليه، ولا يرى بأساً في أن يكون لهم شأن واسع في أمور الدولة ونفوذ عريض(2).

لكنه تعرض لمحنة كبيرة في دينه ودنياه، وذلك بعد وفاة الخليفة هشام، وتولى الخلافة ابنه الحكم بن هشام في نفس العام، فكان الحكم بن هشام منصرفاً عن الفقه، وأهل العلم وقام بتقريب الشعراء إلى مجلسه، وكان من صفاته البذخ والإسراف

---

(1) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة (132هـ - 191هـ)، وقد كان ابن القاسم من تلاميذ الإمام مالك المخلصين، يسمع من شيخه، ويحفظ جيداً، ويعمل بنصحه، فقد قال له مالك ذات يوم: (اتق الله وعليك بنشر العلم) وكان ابن القاسم أعلم تلاميذ الإمام مالك بعلمه، وآمنهم عليه، وكان رجلاً زاهداً تقياً عزوفاً عن الحكام لا يقبل جوائزهم ولا هداياهم وكان يردد دائماً هذه المقولة (ليس في قرب الولاة، ولا في الدنو منهم خيراً)، بعد موت الإمام مالك انتفع أصحاب الإمام مالك بابن القاسم، وهو صاحب المدونة الكبرى في المذهب المالكي، وهي من أجلّ كتبهم. والحق أن ابن القاسم كان الحجة الأولى في مذهب مالك حتى إن زميله عبد الله بن وهب – وهو أطول التلاميذ صحبة لمالك – يقول عنه: (إذا أردت هذا الشأن – يعني الفقه – عند الإمام مالك، فعليك بابن القاسم فإنه انفرد به وشُغِلنا بغيره)، وكان يطلق عليه عالم الديار المصرية ومفتيها.

(2) الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار إحياء الكتاب العربي، 1967، ص245.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما أوغر صدور الفقهاء وعلماء الأمة عليه، فعمل على الحد من مكانتهم، ومنعهم من التدخل في شؤون الدولة، وفي العام 189هـ وبوشاية إلى الخليفة الحكم بن هشام بأن هناك مؤامرة من الفقهاء والعلماء بهدف إقصائه عن الحكم نتيجة البذخ والإسراف، وأنهم يستخدمون منابر جامع قرطبة وكافة منابر المساجد بالأندلس لتحريض العامة عليه، إلاّ أن الحَكَم تمكَّن من قمعهم ونجح في البطش بهم والقبض على بعضهم، فأعدم منهم من أعدم، وفر منهم من فر حتى بلغت فلولهم شواطئ الإسكندرية، أما عيسى بن دينار الذي كان من بين المتهمين بإثارة هذه القلاقل، قد استطاع أن ينجو من هذه المحنة ويستخفي مدة بعيداً عن مواقع الخطر، إلى أن رأى الحكم بن هشام أن من الحكمة أن يؤمِّنه وأن يعفو عنه، فرجع وأقام في قرطبة(1).

ولما توفي الحكم سنة 206هـ خلفه ابنه عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم، فهدأت في عهده الفتن، ومالت الأمور إلى الاستقرار، وكان عبد الرحمن عالماً واسع الثقافة، محباً للعمران، مكرماً للعلماء، فعاش في كنفه عيسى بن دينار مطمئن البال، مقبلاً على نشر علوم الفقه والحديث، وقد ذكرت كتب التراجم أن عيسى بن دينار كان إماماً عالماً يتقن عرض المسائل الفقهية ويفتِّقها ويعلِّمها أهل عصره، فكانت أمور الإفتاء في الأندلس تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد. ولعل هذا الانشغال الدائب جعله لا يتفرغ لتأليف كتاب يقرأه الناس فيما بعد وينتفعون به، وكان مع هذه المنزلة في العلم فاضلاً ورعاً وعلى طريقة عالية من الزهد والعبادة، حدَّث ابنه أبان أن أباه قد أجمع في آخر أيامه على أن يدع الفتيا بالرأي، ويحمل الناس على الأخذ بالحديث، إلاّ أن المنية أعجلته عن ذلك وتوفي عيسى بن دينار في طليطلة(2).

(1) محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص 278.

(2) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، القاهرة، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص 178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحيى بن يحيى الليثي المصمودي القرطبي (152 هـ - 234 هـ):

هو الفقيه الأندلسي القرطبي، سمع مالك بن أنس، وكان لقاؤه به في السنة التي مات فيها، فأخذ عنه الموطأ غير يسير منه، وكان قبل رحلته إليه، يحدث به عن زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون، وسمع أيضا الليث بن سعد، وابن القاسم وبه تفقه وغيرهم.

روى عنه ابنه عبيد الله، وكان آخر من حدث عنه، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، وغيرهم. له مسائل عن أشهب وابن القاسم وغيرهما من أصحاب مالك، وله وصية لطلبة العلم(1).

نشأته وسيرته:

ولد الإمام يحيى في عام 152هـ وهو ينتمي إلى بربر مصمودة بالنسب وإلى بني الليث ولاءً، جده كثير هو الداخل إلى الأندلس، ومشهور عنه أخذه لرواية الموطأ للإمام مالك بن أنس في بلاد الأندلس، وهو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، ارتحل إلى المشرق وعمره 28 عامًا، فسمع الموطأ من مالك ولازمه، ثم سمع من الليث بن سعد في مصر، ومن سفيان بن عيينة في مكة، ومن عبد الرحمن بن القاسم العتقي وعبد الله بن وهب(2).

كان عظيم الشأن وخاصة عند أمراء بني أمية في بلاد الأندلس، ويذكر عنه أنه من مستجابي الدعوة، وكان يستشار من قبل الأمراء عند تولية أحدهم القضاء،، كما كان من الفقهاء الذين لا يخشون في الحق لومة لائم، ويذكر عنه المقري في كتابه نفح الطيب حادثة حدثت معه والخليفة عبد الرحمن الأوسط، فقد استفتى عبد الرحمن الأوسط في جارية أتاها في نهار رمضان،

---

(1) **ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، القاهر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص 315.**

(2) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 119.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فجمع الفقهاء ليفتوه، فأفتاه يحيى بصيام شهرين متتابعين. وحين خرج الفقهاء، سألوه: "لم لم تفتيه بالتخيير"، فقال: "لو فتحنا عليه هذا الباب، سهُل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود"، وهذا يدل على قوته في الحق، بالإضافة إلى ثقة الحكام في حكمه وعلمه وفقهه وإتباع ما يقول، وكان منارة للعلم في قرطبة يشرح ويفسر مذهب الإمام مالك، حتى أنه أصبح من أشهر المحدثين والفقهاء في الأندلس قاطبة(1).

وفي ذلك يقول ابن حيان:

"وغلب يحي بن يحي جميعهم على رأي الأمير عبد الرحمن، وألوى بإيثاره، فصار يلتزم من أعظامه وتكريمه وتنفيذ أموره ما يلتزم الوالد لأبيه، فلا يستقضي قاضيا، ولا يعقد عقدا، ولا يمضي في الديانة أمرا، إلا عن رأيه وبعد مشورته"(2).

ويذكر في كتاب سير الأعلام، أنه انتهى أمر الفتوى إليه بعد عيسى بن دينار، وتوفي في قرطبة في عام 234هـ(3).

عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى القرطبي (ت258هـ):

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن يزيد، مولى معاوية ابن أبي سفيان أبو زيد القرطبي، غلبت عليه كنيته، وهو جد بني أبي زيد بقرطبة.

---

(1) المقري، أبو العباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 121.

(2) ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (المتوفى: 469هـ)، المقتبس من أنباء الأندلس تحقيق/ محمود علي مكي، ط4، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت، ص 42.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط6، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ج21، 2001، ص 521.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريقه للعلم وتلمذته:

أخذ العلم والفقه عن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، الذي لزم مبدأ الشورى في زمن الإمارة من خلفاء بني أمية، وكان مستشارهم في تعيين القضاة، وله كتاب في الوثائق، ورحل إلى المشرق قديما، فأدرك ابن كنانة، وابن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، ونظرائهم من أصحاب مالك المدنيين، ولقي بمكة أبا عبد الرحمن بن يزيد المقرئ، وبمصر أصبغ بن الفرج، كان يستفتي بمصر مع أشهب وغيره، وله كتاب آداب القضاة.

مكانته في العلم:

طلب الفقيه أبو زيد العلم حتى برع في الفقه ودقائق المسائل، وصارت له مكانة بين القضاة والحكام، وكان متقدما في الشورى، صدرا فيمن يستفتى، شوور في حياة يحيى بن يحيى الليثي، وهو فتى، وقد ألف أبو زيد كتابه المعروف بالثمانية، جمع فيه كما عاقه عن المدنيين، وهو كتاب مشهور عليه معول القضاة والمفتين(1).

أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (174هـ - 238هـ):

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، يوصف في التراجم بأنه عالم الأندلس وفقيهها في عصره، يرجع أصله إلى طليطلة من بني سُليم، ولد في البيرة، وسكن قرطبة وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة(2).

(1) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، دمشق، دار طلاس، 1997، ص80 –81.

(2) ابن عذاري،، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص 195.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان عالما بالتأريخ والأدب، من شيوخ فقهاء المالكية في الأندلس، له تصانيف كثيرة تزيد على ألف مصنف وكتاب، ومن أشهرها حروب الإسلام وطبقات الفقهاء والتابعين وطبقات المحدثين وغيرها الكثير ويعد من أشهرها قاطبة كتاب الواضحة، وكل تلك المؤلفات تدل على سعة علمه، قال العتبي(1) لما ذكر الواضحة: «رحم الله عبد الملك، ما أعلم أحدا ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره». أما صلته بالوثائق والأحكام فقد «كان مشاورا مع يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان»، إضافة إلى تأليف كتابا في الوثائق، وله آراء عديدة في الباب، وعنه نقول كثيرة مبثوثة في كتب الوثائق والأحكام، منها جملة وافرة في كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون، ، وكان ابن لبابة(2) يقول: عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس، ويحيى بن يحيى عاقلها، وعيسى دينار فقيهها(3).

طريقه للعلم وتلمذته:

لابن حبيب شيوخ كثر منهم: عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، وعبد الله بن نافع الأصغر، وإبراهيم بن المنذر الجذامي، وأصبغ بن الفرج، وأسد بن موسى، والغازي بن قيس، و أخذ عن ابن حبيب من طلا ب العلم الكثير ومن أشهرهم خالد بن المثنى بن خالد بن المثنى المري، الذي ولي قضاء بلده وتدمير، كذلك إبراهيم بن يزيد بن قلزم(4).

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب، الأموي السفياني العتبي القرطبي، فقيه وعالم مسلم، ولد بالأندلس وتوفي سنة 255 هـ، له تصانيف منها «المستخرجة العتبية على الموطأ» في فقه مالك و«كراء الدور والأرضين».

(2) شيخ المالكية أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي، مولى آل عبيد الله بن عثمان، روى عن : عبد الأعلى بن وهب، وأبان بن عيسى، وأصبغ بن خليل، والعتبي، وابن صباح. وسمع الموطأ من يحيى بن مزين - صاحب مطرف بن عبد الله، وانتهت إليه الإمامة في المذهب.

(3) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر. تاريخ افتتاح الأندلس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1989)، ص312.

(4) عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، بيروت، مؤسسة الخانجي، د.ت، ص 107.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيرته:

أجمعت كتب التراجم على قدر هذا الإمام وعلمه وورعه، كما أنه اتصف في العديد من الكتب بأوصاف جليلة كدليل على المكانة العلمية التي تمتع بها وسط العلماء والفقهاء وتلاميذه، بالإضافة إلى القائمين على الحكم ورجال السلطة، فكان قوي الجانب لا يخشى قول الحق، وذلك نتيجة لحفظه للفقه على المذهب المالكي جامع للعلم من كافة جوانه، كما أنه انتشر عمله وروايته في الأندلس قاطبة وفي العديد من بلاد المسلمين، حتى أصبح فقيه الأندلس الأول في عصره وزمانه، وعندما نزل ببلدة إلبيرة(1)، وقد انتشر علمه وروايته، فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة وقام بترقيته ووضعه في طبقة المفتيين بها، فانفرد عبد الملك وحده بالرئاسة الدينية والشرعية لقرطبة(2).

المنقول عنه في الوثائق والأحكام:

ما ذكره عند ذكر شروط القاضي، فقال: "كان مالك رحمه الله يقول في الخصال التي لا يصلح القضاء إلا بها: لا أراها تجتمع اليوم في أحد، فإذا اجتمع منها في الرجل خصلتان رأيت أن يولّى: العلم والورع. قال عبد الملك بن حبيب ـ رحمه الله تعالى: فإن لم يكن فعقل وورع، فبالعقل يسأل وبه تصلح خصال الخير كلها، وبالورع يعف. وإن طلب العلم وجده، وإن طلب العقل إذا لم يكن فيه لم يجده".

ومن آراءه أنه كان لا يثبت قضاء القاضي بشاهد ويمين، قال ابن فرحون في التبصرة "ومنع ابن القاسم وعبد الملك بن الماجشون وابن حبيب ثبوت الحكم بشاهد ويمين"، ومنها أيضا ما نقله ابن فرحون في فصل فيما وقع في باب النكاح وتوابعه من التبصرة، فقال: "مسألة: إذا دخل الرجل بزوجته قبل الإشهاد على النكاح فسخ النكاح بطلقة بائنة. وقال ابن حبيب: يحد إن ثبت الوطء عالمين كانا أو جاهلين، ما لم يكن أمرهما فاشيا، قال ابن حبيب: ولم أجد من يقول ذلك".

---

(1) البيرة مدينة فلسطينية، ومركز محافظة رام الله والبيرة. تقع في الضفة الغربية إلى الشمال من القدس بحوالي 15 كم. تبلغ مساحتها 22045 دونم (22.045 كم2).

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مصدر سابق، ص 218.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما نقل عنه أيضا في مسألة التعامل مع الحربيين أنه قال: «لا يباع منهم السلاح في هدنة ولا في غير هدنة، وأما الطعام ففي الهدنة يجوز قاله عبد الملك بن الماجشون، وأما على قول ابن القاسم فإن بيع منهم الطعام فإنه يباع عليهم من مسلم، وقيل: يفسخ»(1).

وفي إقامة الحدود قال ابن فرحون في التبصرة: "قال عبد الملك وابن حبيب: ينبغي أن يكون إقامة الحد علانية وغير سر؛ ليتناهى الناس عما حرم الله عليهم، والعمل في قول مالك وأهل المدينة أن يرفع يده بالسوط، وأن يضرب الضرب الوجيع ولا يضرب إلا الظهر فقط"، وفيها قال: "ابن حبيب والضرب في الحدود كلها سواء في الإيجاع، إلا أن الضرب في الخمر أشد ذلك كله"(2).

وقد توفي ابن حبيب سنة (238هـ)، وقد بلغ ستا وخمسين سنة، وصلى عليه ابنه يحيى، وقبره بقرطبة.

إبراهيم بن يزيد بن قلزم بن أحمد أبو إسحاق القرطبي (ت268هـ):

هو إبراهيم بن يزيد بن قلزم بن أحمد بن إبراهيم بن مزاحم، مولى عمر بن عبد العزيز، أبو إسحاق القرطبي، أخذ إبراهيم بن يزيد عن كثير من شيوخ بلده، منهم: عبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس، وكان مشاورا مع يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وألف كتابا في الوثائق، ويحيى بن يحيى الليثي، لزم الشورى زمن بني أمية، وكان مستشارهم في تعيين القضاة، ولا يولى قاض إلا بإشارته، كانت الفتيا تدور عليه، لا يتقدمه في وقته أحد، وكانت له بها رئاسة، وولي قضاء طليطلة للحكم والشورى بقرطبة، ثم رحل فأخذ عن سحنون بن سعيد التنوخي، كما تولى القضاء لمحمد بن الأغلب سنة 234هـ أخذ عنه أحمد بن خالد بن الحباب أفقه أهل الأندلس، وأخذ العلم عنه قاسم بن محمد بن قاسم، ومنذر بن حزم بن سليمان البطليوسي.

(1) أبو الوفاء، إبراهيم شمس الدين محمد بن فرحون اليعمري المالكي برهان الدين، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تحقيق / جمال مرعشلي، القاهرة، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط6، ج 2، 2003، ص 220،وسيشار إليه لاحقا (أبو الوفاء بن فرحون، تبصرة الحكام).

(2) أبو الوفاء بن فرحون، تبصرة الحكام، المصدر نفسه ، ج2، ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مكانته العلمية والفقهية:

كان إبراهيم بن يزيد عالما، مُشاوَرا، بصيرا بصحيح العلم، وإن لم يكن له كثير فقه؛ لأن جل علمه المسائل والشروط، قال عياض بعد ذكر جواب له عن مسألة وردت إليه من بعض ولاة المدينة: "صاحب هذا الكلام لا يقال فيه قليل العلم، كما قال ابن عبد البر، بل لا يصدر مثل هذا إلا عن ذي بصر، صحيح العلم"، وقد تولى إبراهيم بن يزيد الشورى ببلده، توفي بالأندلس في شهر ربيع الأول سنة (268هـ) (1).

محمد بن يوسف بن مطروح القرطبي (ت271ه):

محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك ابن أبي السيرا أبو عبد الله القرطبي، كان أعرج وكني بذلك، يعود إلى نسبه في بني قيس ابن ثعلبة من ربيعة، وهو مذكور في أهل إلبيرة، وكان يروى عن الفقيه عيسى بن دينار.

ومن المعروف عنه أنه روى عن الإمام الفقيه الغازي بن قيس، ويذكر في التراجم أنه عرض عليه القضاء فرفضه، كما روى عن الإمام عيسى بن دينار، وعن الإمام يحيى بن يحيى الليثي، ورحل من قرطبة فسمع من سحنون بالقيروان، وأصبغ بن الفرج بمصر، ومطرف بن عبد الله بالمدينة الذي سمع منه موطأ الإمام مالك، هذا وقد تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم الذين أصبحوا فيما بعد من علماء الأمة ويؤخذ عنهم، و تخرج على يدي ابن مطروح جماعة من علماء الوثائق والأحكام،

(1) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله، تاريخ علماء الأندلس، القاهر، مصدر سابق، ص 288.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد صاروا بعده عمدة في الفتيا والفقه، وإليهم المرجع فيه، منهم: محمد بن عمر بن لبابة، الذي كان مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، وولي الشورى، وابن أيمن الذي كان فقيها عالما، حافظا للمسائل والأقضية، نبيلا في الرأي، مشاورا في الأحكام، صدرا فيمن يستفتى، وولى الصلاة، وإسماعيل بن عمر ابن الزاهد، الذي كان يتم التشاور معه في الأحكام، ومحمد بن بكر بن عبد الله، الذي كان من أحفظ العلماء للفقه(1).

مكانته العلمية والفقهية:

تظهر مكانة ابن مطروح في الوثائق والأحكام جلية من خلال ما تخرج عليه من العلماء المبرزين في المجال، الذين أصبحوا بعده عليهم المعول في العلم، وإليهم الملجأ في الباب، ودارت عليهم الشورى والأحكام، ومسائل القضاء، والفتوى، كما أنه ولي الشورى مع يحيى بن يحيى الليثي، وابن حسان، وابن حبيب، وهو أحد الفقهاء الأربعة الداخلين على الأمير للشهادة في أموره، وكان الأمير محمد يكرمه؛ لسنه ومكانه، وولاه الصلاة بجامع قرطبة، وكانت الفتيا دائرة عليه مع أصبغ بن خليل، وعبد الأعلى بن وهب، وغيرهم.

(1) اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق ابن توايت، الطنجي، ط3، ج1، المغرب، مطبعة فضالة للنشر، 1965، (4/248).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آراؤه الفقهية:

ما ذكره الونشريسي(1) في معياره، أنه سئل "عن رجل أودع رجلا بقالا صرة بدراهم، فتركها في حانوت له ليلا، فطرق الحانوت، فذهبت الدراهم مع غير ذلك من الحانوت. فأجاب: ينظر إلى فعل صاحب الحانوت في ماله، فإن كان يخلف جل بضاعته مع رهان الناس في ذلك الحانوت مع هذه الوديعة، فضاع هذا وهذه، فلا شيء عليه، وإن كان مضى إلى بيته بماله ورهان الناس، وترك الوديعة بعينها، وضرب القفل على تابوته وعلى الحانوت، فهو ضامن للوديعة؛ لأنه غرر بها، ولم يفعل فيها ما فعله في ماله، حتى تركها، ومضى بماله إلى الحرز"، وقد توفي الإمام الفقيه بمدينة قرطبة يوم عاشوراء، في عام (271هـ) (2).

يتبين لنا مما سبق بأن أبرز ما خلفه المسلمون من تراث حضاري في بلاد الأندلس هو مسجد قرطبة الذي لا يزال إلى اليوم شاهداً على حضارة المسلمين المعمارية والعلمية وغيرها في جوانب شتى من حياة الأمة، وكان لهذا المسجد دور علمي حيث كان مقصداً لطلاب العلم لينهلوا من علوم المحدثين والفقهاء على مر تاريخ الأمة الإسلامية وخاصة في عصر الإمارة، كون بني أمية من الخلفاء الذين تولوا الخلافة إبان تلك الفترة كان مشهوداً لهم اهتمامهم بالعلم والعلماء وتقريبهم لمجالسهم

(1) أحمد بن يحي الونشريسي المعروف بأبو العباس الونشريسي (834هـ / 914هـ)، هو الونشريسي مولدا ومبدأ، التلمساني منشأ وأصلا، الفاسي منزلا ومدفنا، من علماء الجزائر الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري. اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي أو كما عرف نفسه في عدة وثائق له وعرفه معاصروه بأنه أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، وسمي بالونشريسي نسبة إلى موطنه الأصلي بجبال الونشريس.

(2) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق / محمد حجي، ط4، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، (1981)، المجلد 12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإفساح المجال لهم في المشاورة والحكم والشورى، وقد استعرضنا النوابغ منهم وإن كان هناك علماء كثيرون لم يتسع الذكر لهم، أثرو الحياة العلمية والفقهية في الأندلس وامتد علمهم إلى سائر بقاع الأمة الإسلامية على مر التاريخ والحضارة الإسلامية،

وقد عددنا عدد من هؤلاء العلماء الأفذاذ في عصر الإمارة الأموية لبلاد الأندلس، وكيف كان الأندلسيون يدرسون الفقه على مذهب الإمام الأوزاعي، وكان لهؤلاء العلماء الذين ذكرنا قبساً من علمهم وسيرتهم العطرة الدور الهام والاستراتيجي لإدخال المذهب المالكي إلى بلاد الأندلس ليكون المذهب الرسمي للدولة الإسلامية في ذلك الوقت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

من خلال سردنا إلقاء الضوء على الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس والحضارة الإسلامية التي أُقيمت في تلك البلاد، والتي كانت أهم دعائم رسوخها وبقائها لمدد طويلة استمرت لعدة قرون في أوج ازدهارها هو الاهتمام بالعلم والعلماء على حد سواء.

وكان ذلك الاهتمام هو محط أنظار خلفاء وأمراء بني أمية المؤسسين الحقيقين لتلك الدولة التي كانت نبراساً يهتدي إليه كافة طلاب العلم في العالم في حينه، بل وصل الأمر إلى ارتياد طلاب العلم غير المسلمين إلى تلك البلاد لتحصيل العلم من العلماء المسلمين، فكانت مراكز العلم منتشرة في بلاد المغرب والأندلس، وأوضحنا أن المسجد الجامع بقرطبة كان الفنارة العلمية التي نهضت بتلك البلاد واستحوذ على اهتمام العلماء المسلمين الذين رحلوا من بلادهم إلى قرطبة ليكونوا في خدمة الدين الإسلامي والعلم في ذلك الجامعة التي أنارت القارة الأوروبية وانعكس ذلك النور على كافة الممالك والبلدان الأوروبية.

فكان بني أمية من الخلفاء والأمراء في الأندلس يقدروا العلماء أيما تقدير، وكانوا يعظمونهم ويقربونهم من مجالسهم مبدين لهم اهتماماً كبيراً وعطايا أكبر تبجيلاً لعلمهم وكرسالة إلى الشعوب بأهمية العلم وكيف يرفع قدر العالم.

وقد أدى انتشار التعليم ونشوء مراكز العلم في المغرب وبلاد الأندلس إلى ظهور كوكبة من العلماء والمفسرين والفلاسفة والأدباء والشعراء الذين أثروا الحياة العلمية والأدبية والحركة الثقافية الإسلامية بكنوز من مؤلفاتهم وابتكاراتهم التي تدرس حتى الآن في كثير من الجامعات العربية والإسلامية والعالمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يتضح أن الأمراء الأُمويين في عصر الإمارة أَولوا الجانب الثقافي اهتماماً كبيراً، فكانوا يشجعون التعليم بمراحله المختلفة، فيتفقدون الكُتَّاب ويحرصون على وجود الفقهاء في المساجد، ويدفعون رواتب للمعلمين، ويحثونهم على ملاحقة التلاميذ وتدريسهم حتى وإن رحلوا إلى مناطق نائية، بل ويأمرون بدفع إعانات للطلبة المنصرفين للعلم كما شجع الخلفاء والأمراء في عصر الإمارة عمليات التربية بكل عناصرها وأقاموها على أولادهم أولاً، فكانوا يختارون المربين لأولادهم بعناية، وقد ظهر أثر التعليم واضحاً في تقدم الحركة الفكرية سواء كان ذلك في مجال التدوين والتأليف، أو الترجمة، أو في ظهور بدايات لخزائن الكتب الخاصة والعامة.

ونستخلص مما أسردنا أن المسلمين في العصر الأموي في بلاد الأندلس عرفوا الكتابة وتأليف الكتب، كما قاموا بتنصيف العلوم، وبرز الاهتمام بالترجمة لكافة المراجع اليونانية كعلوم الفلسفة والاجتماع وأثروا المكتبة الإسلامية بتلك التراجم التي استفادوا منها أيما استفادة في دراساتهم وأبحاثهم وتفسيرهم لها واستكمال تلك التراجم إلى الطريق الصحيح لها وفق الرؤية الإسلامية القائمة على عقيدة صحيحة، كما أثبتت تلك الدراسة أن الخلفاء والأمراء من بني أمية في عصر الإمارة كان لهم باع كبير ورئيسي في التشجيع على العلم والثقافة بصورة عامة ورعاية تلك الجهود الرامية إلى نهضته، وضربوا بسهم وافر في النهضة الثقافية والمعرفية للأمة الإسلامية، وأن هذه النهضة لم تكن قاصرة على رواية الشعر أو حفظ الأمثال أو معرفة القرآن والحديث فقط، بل امتدت لتشمل جوانب شتى من العلوم النظرية والطبيعية على السواء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد شهد عصر القوة في الدولة الأموية في الأندلس ازدهاراً كبيراً ونهضة ظاهرة في التفسير وعلوم القرآن والفقه والعقيدة وعلم الكلام، وتألَّق فيه نجم عديد من العلماء الذين ظلَّ المسلمون بعد ذلك يأخذون من علومهم، ويستشهدون بأقوالهم واجتهاداتهم، كما تألق العديد من العلماء في علوم الكيمياء والجغرافيا والتاريخ والترجمة والفيزياء والفلك والرياضيات وعلوم الأدب والاجتماع والفلسفة، بعد أن أصبحت بلاد الأندلس قبلة العلماء وطلاب العلم من كافة بقاع الأراضي الإسلامية بل امتد الأمر إلى القارة الأوروبية بإرسال طلاب العلم إلى بلاد الأندلس نظراً للحضارة الإسلامية المزدهرة في تلك البلاد في ذلك الوقت وما وصلت إليه من تقدم في علوم الدين وعلوم الدنيا.

وأوضحنا كيف كان المسجد الجامع بقرطبة له الدور الحيوي والهام في ترسيخ وتعزيز تلك النهضة العلمية، وأصبح من المساجد الجامعة التي تستقطب أجل العلماء المسلمين في دولة الإسلام المترامية الأطراف، وكيف كان نموذجاً في العمارة الإسلامية التي ازدهرت بجانب الكثير من العلوم كما أسلفنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي أبو العباس، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق / بشار عواد، تونس، دار العرب الإسلامي، 2013.

المقريزي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج1، بيروت، دار صادر، 1988.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، مطابع هيد دلبرج، 1984.

الذهبي، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة العاشرة، دار الفجر للطباعة والتصوير، الدار البيضاء، مؤسسة الرسالة، ج3، 2001.

بن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (توفي :257هـ)، فتوح مصر والمغرب، الجزء الأول، دار الذخائر، د.ت.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (توفي :808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 5، تحقيق / أبو صهيب الكرمي، تونس، بيت الأفكار الدولية، 2009.

ابن سعيد المغربي، ابن سعيد، البيان المغرب، ج2، المغرب، دار المعارف للنشر والتوزيع، د.ت.

الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان، ط6، دار صادر للطباعة، دمشق، 1993.

ابن خلدون، بن محمد ولي الدين، مقدمة ابن خلدون جـ2، تحقيق/ عبد الله محمد درويش، دمشق، دار يعرب للنشر، 2004.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت، 268/2

جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شريح تقريب النووي، ط3، تحقيق / محمد الفارباي، الرياض، مكتبة الكوثر، 1986.

الفارسي، علي بن بلبان (ت 739هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرياض، مؤسسة الرسالة، 1994.

أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد تقي الدين (ت 702هـ) حكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تحقيق: أحمد محمد شاكر، د. ط، 1987.

الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت 244هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، ط2، مكة، مطبعة النهضة، 1986.

محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين، د.ط، 1978.

ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت 275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، مجلد (1) حديث رقم (224).

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م) تاريخ فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية – القاهرة الطبعة الأولى،1982م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعجم الوسيط: مادة (كتب).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، الجزء 3، بيروت، مكتبة المعارف، 1990.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الجزء 3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000.

الذهبي، محمد بن أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، جزء14، ط3، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 2001.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي تاريخ مدينة دمشق، بيروت، دار الفكر، د.ت.

الأدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- وصف المساجد الجامع بقرطبة، تحقيق / ديسيه لامار، الجزائر، مكتبة الثقافة الإسلامية، 1949.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة،1937.

المصطلحات العربية للعمارة المغربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957

المقري، احمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، القاهرة، 1949.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ج4، قسطنطينة، 1984.

البكري: أبو عبد الله بن عزيز (ت487هـ): المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1968م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن البيطار: ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي، (ت646هـ): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن جلجل: أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت في القرن الرابع الهجري):طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.

ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السليماني (776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله، ط2،الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595)، الكليات، تحقيق/ سعيد شيبان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1989.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.

عبد الواحد المراكشي: محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت640هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،دار النهضة المصرية للطباعة، القاهرة، 1930م.

البغدادي: إسماعيل باشا (ت1339هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595)، الترياق، تحقيق/جورج شحاته، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،1987.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت404هـ)، (تأريخ علماء الأندلس)، ج2، طبعة كوديرا – مدريد 1892م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفتوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي (توفي 1307هـ)، أبجد العلوم، الرياض، دار ابن حزم،2002، 572/2.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

السيوطي، جلال الدين بن محمد بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، الجزء 4، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967م.

أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، 1967م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، أعلام السير والنبلاء، ط3، الجزء 9، الرياض، مؤسسة الرسالة، 1985.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ العلماء والرواد للعلم بالأندلس، بغداد، مكتبة المثنى، بغداد،1954.

محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، 1989.

ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (المتوفى: 469هـ)، المقتبس من أنباء الأندلس تحقيق/ محمود علي مكي، ط4، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط6، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ج21، 2001.

أبو الوفاء، إبراهيم شمس الدين محمد بن فرحون اليعمري المالكي برهان الدين، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ط6، تحقيق / جمال مرعشلي، القاهرة، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ج 2، 2003.

اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (المتوفى: 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق الطنجي، ابن توايت، ط3، ج1، المغرب، مطبعة فضالة للنشر، 1965.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق / محمد حجي، ط4، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، المجلد 12، 1981.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع:

أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1978.

عثمان الكعاك، دور العروبة والإسلام في النهضة العلمية والأدبية والفنية والتقنية في أوروبا وأمريكا، ملتقى الفكر الإسلامي، المجلد الأول، 1972.

ليفي، بروفنسال، الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة / أحمد مكي، ط2، القاهرة، دار المعارف.

حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

هنري طيران، هنري، مسجد القرويين في فاس، دار الحكمة، الرباط، ج1، د. ت.

عبد الفتاح عوض، إشراقات أندلسية (صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس)، القاهر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007.

أرشيف ومكتبات الأندلس، الجزء الأول، 1921م.

خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، ليبيا، منشورات جامعة قار يونس، ط2، 1966.

حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، القاهرة، دار المتحدة للنشر، 1978.

محمد صالحية، مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المحلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد3، الكويت،1981.

محمد حسن العمايرة، محمد حسن، الفكر التربوي الإسلامي، عمان، دار المسيرة،2001.

حسن عبد الرحمن، الفكر التربوي من منظور إسلامي، 2006.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كمال حبيب، مناهجنا. آخر الحصون - مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط2، الإسكندرية، مكتبة الأنجلو مصرية، 2009.

محمد منير مرسي، أصول التربية، القاهرة، عالم الكتب، 1996.

كريم عجيل، الحياة العلمية في مدنية بلنسية، بغداد، مؤسسة الرسالة، 1975.

محمد محمد شريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1966.

نوفل عبد الرزاق، المسلمون والعلم الحديث، بيروت، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1977.

حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، جامعة الموصل، 1977.

مصطفى لبيب عبد الغني، الكيمياء عند العرب، القاهرة، (ب.ط)، 1979.

سمية محمد فراج الوافي، التعليم في العصر الأموي – بحث مكمل لنيل رسالة الماجستير، بليدة، الجزائر، د.ت.

ماجد عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1973.

سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، الإسكندرية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1996.

أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي، دمشق، دار التراث العربي للنشر، د.ت.

أفنان نظير، النظرية في التدريس وترجمتها علمياً، عمان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

أحمد بن علي البغدادي، الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، ط3، بيروت، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،1973.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سهيلة محسن الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط2، عمان، دار الفجر الحديث للنشر، 1994.

طارق علي العاني،، وآخرون، طرائق التدريس والتدريب المهني، ط 1، طرابلس، المركز العربي للتدريب المهني وإعداد المدربين، 2000.

حمد عبد العزيز الخرب،، وآخرون، طرق التدريس العامة بين التقليد والتجديد، الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 2003.

منذ ر سامح العتوم، طرق التدريس العامة، ط 1، الرياض، دار الصميعي، 2007.

محمد محمود الحيلة، مهارات التدريس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2002.

ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار الفجر الجديد، د.ت.

محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ط3، عمان، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1998.

حلمي أحمد الوكيل، المناهج (المفهوم ـ العناصر ـ الأسس ـ التنظيمات ـ التطوير)، الإسكندرية، الأنجلو المصرية، 1996.

محمد حسين هادي العواجي، النفقات المالية في الدولة الأموية، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1993.

محمد حسين هادي العواجي، النفقات المالية في الدولة الأموية، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1993.

وفاء محمد سحاب، تاريخ اختطاط العرب المسلمين للمدن في الأندلس، الأنبار، جامعة الأنبار، د.ت.

السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، دار المعارف، 1962.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دراسات في تاريخ الدولة الأموية (41هـ - 132هـ)، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت.

أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، بيروت، دار المعارف للنشر، د.ت.

محمد شلبي، أحكام الوصايا والأوقاف، ط4، بيروت الدار الجامعية، 1984.

محمد بن عبيد الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ط3، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1976.

شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ط3، 1934.

أحمد الدريويش، الوقف مشروعيته وأهميته الحضارية، ج1، ب.ط، د.ت.

إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، الوقف ودوره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، السعودية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2000.

عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، الرياض، دار العاصمة، 1999.

إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، د.ت.

عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت.

سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، 1998.

علي علام عبد الله، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1967.

عمر رضا كحالة، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، القاهرة، دار المعارف، 1971.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، بيروت، دار الأمل للنشر، 1958.

نور الدين زرهوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، الدار البيضاء، 1991.

محمد فخر الدين المنوني، فجر الأندلس - دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، ط2، الرياض، الدار السعودية، 1985.

محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1982.

ضيف، شوقي عبد الله.(ب.ت): عصر الدول والإمارات، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، الإسكندرية.

الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، ط 4، دار المعارف 1993.

خليل إبراهيم السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1986.

محمود الحاج قاسم، انتقال الطب العربي إلى الغرب، ط2، دمشق، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1961.

إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ط3، بيروت، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1978.

السامرائي وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بنغازي، دار المدار الإسلامي، 2004.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ)، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة، مطبعة بولاق، د.ت.

خاشع المعاضيدي، تاريخ الدولة العربية في الأندلس، دمشق، دار الفجر للطباع والنشر والتوزيع ، د.ت.

السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير،ج2 الاسكندرية، ب.ط، 1966.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

السيد عبد العزيز سالم، أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية بإسبانيا وفرنسا، القاهرة، مجلة المجلة، عدد14، 1958.

جوستاف، لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة / عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتاب، 1948.

أحمد فكري، أحمد، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها،الاسكندرية، مكتبة الانجلو مصرية، 1961.

احمد رسمي البطاط، أحمد رسمي، قرطبة في العصر الإسلامي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2013.

سعيد حسانين الإبراشي، سعيد حسانين، مسجد قرطبة، دار النهضة للنشر، القاهرة، 1984.

دون خواكين دي جنثالت، دون خواكين، فتح الأندلس، مقالة منشورة، الجزائر، 1989.

بلباس توريس، التبادل الفني بين مصر وإسبانيا، لمجلة الأندلس، 1934م.

دائرة المعارف، العدد 64، التأثيرات المعمارية في الأندلس، القاهرة، 1959م

أنيس الأبيض، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، دار جروس، 1994.

محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

مؤنس حسين حامد، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية(711هـ/756م)، ط2، الدار السعودية، الرياض، 1985م.

آمنة عودة حمزه، الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير تقدمت بها إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 2007م.

حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار الكتب اللبنانية، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، د.ط، هدية المقتطف السنوية، 1941.

خوليو سامسو، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2،ترجمة سلمى الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999.

صالح العلي، دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الإسلامية، بغداد، مجلة المورد، مجلد 3 العدد 4، 1974.

حكمت فريحات وآخرون، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت.

هونكة زيغريد، شمس الله على الغرب – فضل العرب على أوروبا، ترجمة/ فؤاد حسني علي، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

زياد علي الجرجاوي وآخرون، دراسة تأصيلية لنشأة التفسير وتطوره ومصادره وأنماطه، جامعة القدس، 2014.

آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1955.

عيسى محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.

عواطف بنت محمد، مدخل إلى علم التاريخ، د.ط، 2014.

محمود إسماعيل، الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ط1، منشورات الزمن، المغرب، 2008.

علي حسني الخربوطللي، الإسلام في البحر المتوسط، بيروت، دار العلم، 1970.

أحمد بدر، أحمد، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، دمشق، دار القرطاس للطباعة والنشر والتوزيع، 1969.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطفى الهروس، المدرسة المالكية في الأندلس حتى نهاية القرن الثالث الهجري (نشأة وخصائص)، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1997.

مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي - طبقات المالكية - الطبقة الأولى: الأندلسيون - الغازي بن قيس الأموي القرطبي.

إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، القاهرة، دار الشروق للطباعة و النشر والتوزيع، 2011.

شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، دمشق، دار طلاس، 1997.

عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، بيروت، مؤسسة الخانجي، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The Educational Cordoba Mosque in the Era of the Emirate (138-316AH/755-928AD)

This study aims at highlighting the Islamic cultural renaissance occurred at Maghreb countries and Al-Andalus since Muslims took control over Al-Andalus in 92AH. They established their state and civilization across this geographical area. Therefore, these regions were as a bridge from where the Islamic culture set off to Europe as a result of the Umayyad Caliphs and Amir's' interest in knowledge and scholars. Similarly, they built scientific institutions, later become universities to teach all aspects of human civilization in various fields.

Such development has a positively great effect on Europa as it has witnessed a unique revival due to Islamic studies and sciences addressed by such universities. In the beginning, these sciences were limited to be taught in mosques, at the top of these mosques were the Great Mosque at Córdoba. It had a major contribution through its scientific role to this renaissance as many Muslim scholars had been graduated and missioned around the world.

www.manaraa.com